الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله **معهد الآثار**
قسم الآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني

التخصص: آثار إسلامية
المستوى: الثالثة

من إعداد الأستاذ: علي بوتشيشة

السنة الجامعية: 2022/2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله **معهد الآثار**
قسم الآثار

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

العمران والعمارة في الجزائر خلال العهد العثماني

التخصص: آثار إسلامية
المستوى: الثالثة

من إعداد الأستاذ: علي بوتشيشة

السنة الجامعية: 2022/2023م

مقدمة:

بدأت ملامح المدينة الإسلامية في التشكل منذ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يثرب لتتطور بعد ذلك بتغير الزمان والمكان، دون أن تخرج عن النسق العام الذي رسمه الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث أضحت المدينة المنورة (يثرب سابقا) المرجع الأصلي لنظام المدينة كما صارت عمارتها وفي مقدمتها المسجد النبوي مرجعا ثابتا للعمارة الاسلامية.

لقد كان من الطبيعي أن ينشأ في ظل الحضارة الاسلامية عدد لا يحصى من المدن سواء في المشرق الإسلامي أو المغرب الإسلامي، بعضها قام على أنقاض عمران قديم وبعضها الآخر قام على أرض بكر لم تكن آهلة من قبل، إلا أنها جاءت جميعها متميزة عن المدن القديمة سواء في شكلها العام أوفي طبيعة وحداتها الأصلية

أو في تركيبتها العمرانية، كما كانت خاضعة في مجملها لضوابط واحدة، ولم يكن الاختلاف بينها إلا في بعض الجزئيات المتعلقة إما بطبوغرافية الأرض أو بالوضع التاريخي أو بالإنشاء العمراني والمعماري.

وبذكر المغرب الأوسط (الجزائر) فقد مر بفترات تاريخية مهمة ابتداء بالفتح الاسلامي وانتهاء بالفترة العثمانية، والحق أن هذه الفترة تعد طويلة ومهمة من تاريخ وحضارة الجزائر، فقد شهدت المدن خلالها تطورا عمرانيا كبيرا، بل وارتقت العديد منها إلى مصاف المدن الحواضر كالجزائر وقسنطينة ووهران وغيرها، بعد أن كانت مدنا ثانوية غير ذات أهمية. ومن جهة اخرى شهدت الفترة العثمانية نهضة عمرانية ومعمارية معتبرة خلفت لنا العديد من المنشآت، وكانت من الثراء بحيث ضمت مختلف الأنواع الدينية والمدنية والعسكرية، وشملت عديد المدن التي كانت تحت الحكم العثماني.

وهذا ما سوف نتعرض له بالتفصيل من خلال هذه المطبوعة البيداغوجية.

فهرس المحاضرات

- **المحاضرة الأولى :** خصائص القرن السادس عشر نهوض أوروبا وانحطاط العالم الاسلالمي
- **المحاضرة الثانية:** التواجد العثماني في الجزائر
- **المحاضرة الثالثة:** التنظيمات في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الرابعة:** مدخل إلى المدينة الاسلامية
- **المحاضرة الخامسة:** التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة السادسة:** التطور المعراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني
- **المحاضرة السابعة:** التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الثامنة:** العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة التاسعة:** العمارة السكنية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة العاشرة:** المرافق العامة في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الحادية عشر:** العمارة العسكرية في الجزائر خلال العهد العثماني
- **المحاضرة الثانية عشر:** التأثيرات العثمانية على المنشآت المعمارية بالجزائر

المحاضرة الأولى

خصائص القرن السادس عشر
نهوض أوروبا وانحطاط العالم الاسلامي

عرف القرن السادس عشر للميلاد أحداثا وتطورات خطيرة غيرت وجه العالم وتوجهه، فبعدما كانت السيادة والسيطرة للمسلمين؛ أخذ العالم النصراني زمام المبادرة وعلى جميع المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية، بينما أخذ النفوذ الاسلامي في الانحصار رويدا رويدا فاسحا المجال للقوة الأوروبية الناشئة.

التخلف الاوروبي خلال العصور الوسطى؛أسبابه ومظاهره:

بينما كان العالم الاسلامي يعيش أزهى أيامه في العصور الوسطى؛ ساد أوروبا التخلف والجهل والأمراض، وقد كانت السيطرة المطلقة للكنيسة التي بثت الجهل والخرافات وتصدت للأفكار العلمية الجديدة الوافدة من العالم الاسلامي التي تمنح العقل حرية التفكير والإبداع، فحكمت على العلماء بالحرمان وأهدرت دم بعضهم وأحرقت كتب البعض الآخر، ومن جهة أخرى اعتمدت أوروبا في اقتصادها على الزراعة والري مع قليل من التجارة، فتركزت ملكية الأرض في يد مجموعة صغيرة

من المجتمع تمثلوا في الاقطاعيين المتحالفين مع رجال الكنيسة فتركز المال في يد هؤلاء، بينما كان اغلب السكان عبارة عن عبيد يعملون لدى السادة من الاقطاعيين.

حركة النهضة الأوروبية وعوامل قيامها:

وقد شهد القرن السادس عشر في أوروبا حركتين من أكبر الحركات التي شهدها تاريخ العالم الحديث، هي حركة إعادة اكتشاف العالم قصد استعماره وايجاد طرق جديدة للتجارة، والحركة الثانية تمثلت في الاصلاح الديني الذي قادة مارتن لوثر وما نتج عنهما من انفتاح على العالم وتحقيق العديد من المكاسب وما صاحب ذلك من وقوع حروب وصراعات دموية.

وقد كان للحضارة الاسلامية دورا اساسيا في النهضة الأوروبية حيث انتقلت تاثيراتها عن طريق الاندلس وصقلية وجنوب ايطاليا وعن طريق بلاد المغرب، ومن جهة أخرى ساهم التجار الاوروبيون ولاسيما تجار البندقية وجنوة في نقل منتجات الحضارة الاسلامية وأفكارها إلى الضفة الأخرى دون أن نغفل ما افرزته الحروب الصليبية من ايجابيات على أوروبا كان في مقدمتها نقل الحضارة إليها.

مظاهر النهضة الأوروبية:

- تحرر المدن الاوروبية من سيطرة الاقطاعية.
- اختراع الطباعة منتصف القرن 15م على يد غوتمبرغ الالماني ولو أن فكرتها الاولى ظهرت ببلاد الاندلس.
- الاكتشافات البحرية الواسعة التي كانت موجهة ضد المسلمين من أجل القضاء على تجارتهم واستعمار بلادهم وتنصيرهم وقد تولى أمرها الاسبان والبرتغاليون.
- السيطرة على تجارة البهارات والتوابل التي كانت حكرا للمسلمين.
- نهوض الصناعة وازدهارها.
- نمو اقتصادي كبير في جميع القطاعات.
- ازدهار الحركة العلمية التي اعتمدت في الأساس على علوم ومعارف المسلمين.

عوامل انحطاط الحضارة الاسلامية :

أولا – عوامل سياسية:

- ✓ تمزق الوحدة السياسية وقيام على أنقاض الدولة الواحدة عدة ممالك ودول في مشرق ومغرب العالم الاسلامي.
- ✓ الإستبداد السياسي والصراعات الدموية على الحكم.

ثانيا – عوامل اقتصادية:

- ✓ خضوع الزراعة لنمط النظام الاقطاعي العسكري مما أدى إلى تدهورها خاصة في المشرق.
- ✓ إثقال كاهل السكان بالضرائب.
- ✓ تدهور التجارة بسبب تجزئة العالم الاسلامي والحروب الداخلية مما ترتب عليه من انعدام الأمن وانتشار القرصنة برا وبحرا.

- ✓ احتلال الصليبيين للساحل الشامي ثم المغربي مما أدى إلى حرمان التجار المسلمين من موانئ وأسواق البحر المتوسط كما أصيبت الحركة التجارية بأضرار بالغة من جراء الصراع بين المسلمين والصليبيين، كما تلقت التجارة ضربة مميتة على يد البرتغاليين بعد تمكنهم من تغيير مسلك التجارة عن طريق رأس الرجاء الصالح (1498م) نحو الهند وبالتالي فقد المسلمون دورهم في التجارة الدولية.

ثالثا- عوامل خارجية:

- ✓ سقوط صقلية بيد النورمان بعد استغلالهم للانقسامات التي دبت بين الامراء فيها.
- ✓ الحروب الصليبية وما سببته من استنفاذ لطاقات المسلمين على جميع المستويات.
- ✓ الغزوات المغولية التي كانت أكثر الحروب قسوة ووحشية.
- ✓ سقوط الاندلس بيد الإسبان سنة 1492م وإحراق 80 ألف مجلد من كتب العلوم.

رابعا- عوامل علمية:

- ✓ غياب رعاة العلم من خلفاء وأمراء.
- ✓ هيمنة الدولة على التعليم ومؤسساته وتوجيهها نحو ميادين تخدم مصالحها السياسية والمذهبية والإدارية.
- ✓ الاهتمام أكثر بالعلوم الدينية.

أسباب العدوان على بلاد المغرب:

لم يكن نزول الاسبان والبرتغاليين بسواحل بلاد المغرب إلا وجها آخر من الحروب الصليبية، وكان فشل الصليبيين في المشرق وفتح العثمانيين للقسطنطينية وتهديدهم لأوروبا الغربية وتسيد العثمانيون للحوض الشرقي للمتوسط، ومرافقة ذلك مع سيطرة النصارى على بلاد الاندلس؛ دافعا بالاسبان والبرتغاليين على مطاردة المسلمين في في بلاد المغرب الاسلامي. كما يعتبر الانتقام من سكانه الذين أرسلوا النجدات للاندلسيين دافعا قويا للعدوان الصليبي، وساعدهم في ذلك ضعف وتدهور وانقسام بلاد المغرب.ويمكن تلخيص الاسباب فيما يلي:

1. السبب الديني: كان للعدوان صبغة صليبية وهدفها القضاء على الاسلام لما عرف عن الاسبان والبرتغاليين خاصة من تعصب ديني أعمى.
2. السبب العسكري: نقل المعركة إلى أرض المغرب ومنع بالتالي المغاربة من مهاجمة الساحل الاسباني لنجدة الاندلسيين وتحرير أرضهم.
3. السبب السياسي: إقامة امبراطورية كبيرة باحتلال أراض جديدة لمواجهة الامبراطورية العثمانية الناشئة.
4. السبب الاقتصادي: الرغبة في الاستيلاء على ثروات أخرى بالقوة لسد العجز الذي أصبحت تكابده اسبانيا بعد سقوط دولة المسلمين، وكانت بلاد المغرب مهد الخيرات ومنبع الثروات، وكذا السيطرة على طرق التجارة البحرية بجعل المتوسط بحيرة اسبانيا ومنع تقدم العثمانيين.

العدوان الاسباني على بلاد المغرب:

كانت الامارات الثلاثة ببلاد المغرب لا تحكم إلا شكليا، مما سهل على الاسبان احتلال العديد من المدن الساحلية بدون مقاومة تذكر، بينما عجزت عن احتلال المدن الداخلية.

- احتلال مليلية المغربية سنة 1497م.
- احتلال سبتة المغربية سنة 1580 بعد انسحاب البرتغاليين منها.
- احتلال المرسى الكبير 22 أكتوبر 1505م.
- اندحار الاسبان في مسرغين في جوان 1507م.
- احتلال وهران صيف 1509م.
- احتلال بجاية في جانفي 1510م.
- احتلال عنابة في سنة 1510م.
- احتلال طرابلس في سنة 1510م.
- محاولة احتلال جربة التونسية وخسران المعركة.
- رضوخ مدينة الجزائر للوصاية الاسبانية بعد أن عقد سالم التومي شيخ المدينة اتفاقا مع بيدرو نفارو ببجاية.
- اندحار الاسبان بمدينة قرقنة في عام 1511م.
- استسلام مدينة مستغانم في ماي 1511م وعقد اتفاقية ولاء مع الاسبان.
- خضوع مدن أخرى للهيمنة الاسبانية منها شرشال ودلس.
- احتلال هنين 1531م.

استطاع الاسبان ما بين 1505م و1514م السيطرة تقريبا على كامل الساحل المغربي.

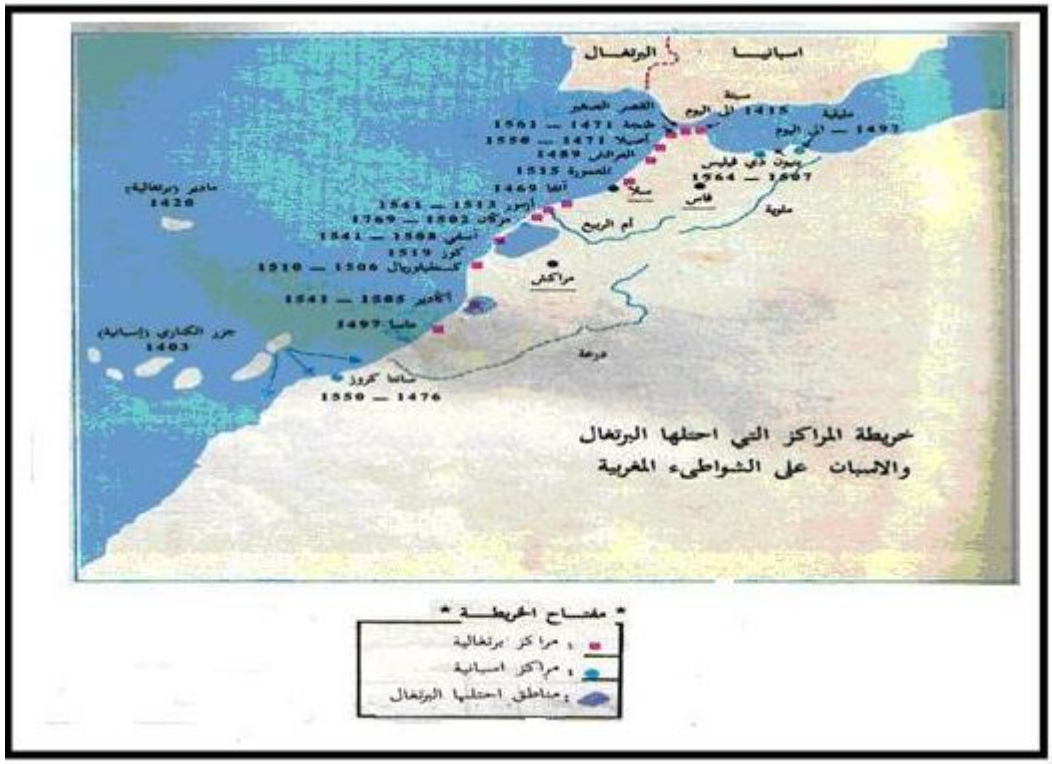

قائمة المصادر والمراجع:

- جلال يحي، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الجديد، الاسكندرية، 1999م.

-مبارك بن محمد الهلالي الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديثن الجزء الثالث، مكتبة النهظة الجزائرية، الجزائر، 1964م.

-عبد اللطيف الصباغ، تاريخ أوروبا الحديث، 2011م، نشر الكتروني (Books (Library. Net/a3749 Download

- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1982م.

- **المدني، أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر اسبانيا(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1976.

- **عزيز، سامح التر**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989م

المحاضرة الثانية

نشأة وقيام الدولة العثمانية:

قامت الدولة العثمانية في القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي على أنقاض دولة الروم السلاجقة والتي وقفت سدا منيعا أمام هجمات البيزنطيين، ولم تمض سنوات قليلة على ظهور العثمانيين حتى طهروا بلاد الاناضول في آسيا الصغرى من البيزنطيين، ثم واصلوا مسيرتهم إلى أوربا ليفتحوا القسنطينية عام 1453م والتي استعصت عن الفتح منذ العهد الأموي. لقد عمرت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها مناطق واسعة في جنوب شرق أوربا ووسطها وأقاليم لم تخضع من قبل لحاكم مسلم.

ينتمي العثمانيون إلى قبيلة من قبائل الغز التركية وهي قبيلة قابي، وقد تحركت هذه القبائل من أواسط آسيا منذ النصف الثاني من القرن السادس الميلادي نحو آسيا الصغرى في هجرات ضخمة لأسباب اقتصادية و سياسية. كانت تمارس في بداية القرن السابع الهجري حرفة الرعي، ونتيجة للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان على العراق ومناطق شرق آسيا الصغرى فإن سليمان جد عثمان - مؤسس الدولة - هاجر في العام 617ه 1220م مع قبيلته من كردستان إلى بلاد الاناضول، ثم استقر في مدينة أخلاط، بعد وفاته عام 628ه/1230م خلفه ابنه الاوسط أرطغرل والذي واصل تحركه نحو الشمال الغربي من الأناضول وكان معه نحو مئة عائلة و400 فارس، خلال تقدمه صادف قتال بين جيش من السلاجقة وجيش من الروم، انظم إلى إخوانه من المسلمين فكان النصر حليفهم. نتيجة هذا الصنيع اقتطع لهم السلطان السلجوقي أرضا في الحدود الغربية للأناضول بجوار الثغور واتاح لهم بذلك فرصة التوسع على حساب الروم.

بعد وفاة أرطغرل أواخر القرن السابع هجري خلفه في حكم الإمارة ابنه عثمان - الذي سميت باسمه الأمة والدولة- وقد انتهج سياسة أبيه السابقة في التوسع في أراضي الروم.

ونتيجة للغزو المغولي انهارت دولة السلاجقة وتوفى سلطانها علاء الدين الثالث سنة 1307م ليعلن عثمان بن أرطغرل استقلاله وتلقب بلقب سلطان، ويعتبر هذا الأخير المؤسس الحقيقي للامبراطورية العثمانية. ومضى يوسع رقعة دولته واستولى على بعض المدن كانت أهمها بروسة سنة 727ه/1326م التي أصبحت عاصمة للإمبراطورية.

وجه السلاطين العثمانيون كل جهودهم لفتح أوروبا ونشر الاسلام، حيث تمكنوا خلال القرنين الأولين من احتلال بلاد البلقان وبلاد المجر والكثير من بلاد النمسا وجنوب البلاد الروسية. وفي العام 1453م تمكن محمد الفاتح من فتح القسطنطينية عاصمة مملكة الروم الشرقية وأصبحت بالتالي عاصمة الدولة الجديدة بدلا من بورصة.

ومن جهة أخرى حارب العثمانيون الفرس وحرروا كامل العراق والجزيرة من أيديهم، كما فتحوا مطلع القرن السادس عشر بلاد الشام (1516م) ومصر (1517م)، لتنضوي معظم البلاد العربية تحت الخلافة العثمانية.

شخصية عروج وخير الدين:

يعود أصل هذين الرجلين إلى جزيرة مدللي اليونانية التي استولى عليها محمد الفاتح واستوطنها الجنود العثمانيون بعد أن صارت أرضا عثمانية، ومن ضمن هؤلاء الجنود نجد يعقوب الذي تزوج من نصرانية على الارجح فأنجبت له اسحاق وعروج وخير الدين وإلياس.

اشتغل عروج وخير الدين بالتجارة البحرية غير أن حادثة أسر عروج من طرف قراصنة رودس حولت مجرى حياته وحياة إخوته، فعملوا في الجهاد البحري ضد النصارى.

عملوا في البحر المتوسط، وكانوا يهاجمون البواخر الأوروبية ويخلِّصوا الاندلسيين من بطش الاسبان. كما كان لعروج وأخيه خير الدين على الخصوص شأن كبير في السيطرة على شرق المتوسط وفتح الجزائر وتونس.

عقد الإخوة بربروس إتفاقية مع حاكم تونس الحفصي لحماية سفنهم مقابل بيع غنائمهم هناك ومقابل ثمن يدفع للدولة الحفصية، فأذن لهم السلطان بالرسو في ميناء حلق الوادي وقضوا الشتاء ذلك العام هناك. وبعد استقرارهم بتونس اتجهت انظارهم لتحرير السواحل الجزائرية من الاحتلال الاسباني.

انضواء المغرب الأوسط تحت الحكم العثماني:

1-الدوافع والأسباب:

أصبحت مناطق المغرب عموما وبلاد المغرب الاوسط خصوصا عرضه لحملات صليبية من قبل البرتغاليين خلال العقد الأخير من القرن الخامس عشر عقب سقوط الأندلس، كما تشجعت اسبانيا هي الأخرى على غزو المغرب الاسلامي خاصة المغرب الأوسط وتونس في حين تركزت الهجومات البرتغالية على مناطق المغرب الأقصى.

إن الغزو الاسباني لم يكن لأهداف اقتصادية فحسب بل كان ذا طابع ديني قصد الانتقام من المسلمين ومنعهم من استرداد الاندلس كما كان له أهداف كثيرة أخرى.

وقد تمكنت اسبانيا من احتلال العديد من مدن سواحل بلاد المغرب الاسلامي ابتداء من سبتة ومليلة فالمرسى الكبير ثم وهران وبجاية ومن بعدها طرابلس بليبيا، في المقابل رضخت مدن أخرى للسيطرة الاسبانية بقبولها دفع الجزية ومنها مدن دلس وشرشال وتنس ومستغانم، لتسلم مدينة الجزائر إحدى جزرها القريبة لبيدرو نافارو قائد الحملة وتصبح تحت مرمى مدافع الغزاة، كما اصبح صاحب تلمسان خاضعا لهم وتحت حمايتهم، وهكذا اصبحت اسبانيا وفي فترة وجيزة تسيطر على أهم الموانئ الرئيسية ببلاد المغرب الاسلامي.

وبسبب هذا العدوان الاسباني على سواحل بلاد المغرب الاوسط استنجد أهلها بالإخوة بربروس الذين أصبحت قوتهم البحرية تتعاظم في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

- مراحل التحرير والفتح :

بعد استقرارهم بتونس اتجهت أنظار الإاخوة بربروس نحو السواحل الجزائرية التي طلب سكانها النجدة والحماية من عروج واخوته، ففي العام 1514م فتحت جيجل التي كانت تحت سيطرة حامية تابعة لمدينة جينوة الايطالية.ليهاجم الاخوة بربروس بعدها القلعة الاسبانية ببجاية وبعد عدة محاولات تمكنوا من فتحها.

لتفتح بعد ذلك كل من مدينة الجزائر (1516) ثم شرشال(1516) ثم تنس (1517)على التوالي، كما تم أيضا فتح دلس دون مقاومة.

مراحل فتح تلمسان الأول ثم سقوطها من جديد:

نظرا للانتصارات الكبيرة والمتتالية للإخوة بربروس على الاسبان؛ استنجد بهم سكان مدينة تلمسان رغبة في التخلص من حكم أبي حمو الثالث الزياني الموالي للإسبان. فتوجه عروج إليها في جيش كبير ففتحها وعين نفسه حاكما عليها.

بعدها بفترة وجيزة قاد الاسبان انطلاقا من وهران هجوما على قلعة بني راشد بمعسكر بالتحالف مع أبي حمو الثالث أدى إلى استشهاد اسحاق بربروس ومن معه من الحامية في كمين شهر جانفي 1518م، لتحاصر عقبها تلمسان مدة ستة أشهر. تمكن بعدها عروج من التسلل والانسحاب قاصدا البحر، إلا أن قوة اسبانية واجهته في طريقه، فاستشهد ومن معه في معركة غير متكافئة سنة 1518م قرب تلمسان، لينصب الإسبان من جديد أبا حمو الثالث سلطاناعلى عرش تلمسان.

الجزائر ولاية عثمانية (1518م):

عقب الأحداث المؤلمة التي وقعت في تلمسان قرر خير الدين مغادرة الجزائر، إلا أن أهلها ألحوا بإصرار على بقائه، وكتب اعيان الجزائر وعلماءها وشيوخها كتابا حمله وفد منهم يطلبوا من الباب العالي الانضمام إلى الخلافة العثمانية والحماية لها، وبعد موافقة السلطان العثماني تم تعيين خير الدين حاكما للجزائر ومنحه لقب بايلرباي. كما ارسل مع الوفد أسطولا بحريا كبيرا يحمل أربعة آلاف مقاتل وكمية ضخمة من العتاد والسلاح.

ويعتبر هذا التاريخ أي عام 1518م بداية انضمام المغرب الأوسط إلى الدولة العثمانية واتحاده معها ليس بحد السيف كما حدث في بلاد المشرق بل بطلب من الجزائريين الذين سيمثلون طليعة العالم الاسلامي في جهادهم للنصارى في حوض البحر المتوسط وبلاد المغرب الاسلامي لمدة ثلاثة قرون.

قائمة المصادر والمراجع:

- **جلال يحي**، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الجديد، الاسكندرية، 1999م.
- **مبارك بن محمد الهلالي الميلي**، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزء الثالث، مكتبة النهظة الجزائرية، الجزائر، 1964م.
- **عبد اللطيف الصباغ**، تاريخ أوروبا الحديث، 2011م، نشر الكتروني (Books (Library. Net/a3749 Download
- **محمد العروسي المطوي**، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الاسلامي، 1982م.
- **المدني، أحمد توفيق**، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر اسبانيا(1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، الجزائر، 1976.
- **عزيز، سامح التر**، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة : محمود علي عامر، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1989م.
- **إسماعيل أحمد ياغي**، الدولة العثمانية في التاريخ الاسلامي، مكتبة العبيكان، الطبعة الثانية، 1998م.
- **محمد الصلابي**، الدولة العثمانية؛ عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، الطبعة الاولى 2001م.

المحاضرة الثالثة

التنظيمات في الجزائر خلال العهد العثماني

نظام الحكم:

أولا- مرحلة البايلاربيات (1518-1587م):

ابتدأت من تولي خير الدين الحكم وإعلانه دخول الجزائر تحت لواء الخلافة العثمانية ونال نظير ذلك لقب الباي لارباي "أمير الأمراء". لتمد هذه المرحلة إلى سنة 1587م، وتعاقب على حكمها 12 أميرا كحسان باشا وصالح باشا وعراب باشا.

ثانيا ـ مرحلة الباشوات (1587-1659م) :

تداول على حكم الجزائر خلالها ثلاثون حاكما يتقدمهم دالي أحمد باشا (1587-1589) ويتذيلهم في الترتيب إبراهيم باشا (1656-1659م)، وكان هؤلاء يعينهم الباب العالي لحكم البلاد مدة ثلاث سنوات –عهدة واحدة غير قابلة للتجديد. تميزت هذه المرحلة بكثرة الاضطرابات والفوضى مما ساعد الأغوات على الاستيلاء على الحكم تدريجيا عن طريق مجلس الأوجاق الذي يرأسه عادة أحد الاغوات وبذلك ابتدأت المرحلة الثالثة في تاريخ نظام الحكم بالجزائر بعد مرحلة الباشوات التي التي امتدت لـ72 سنة.

ثالثا – مرحلة الأغوات (1659-1671م):

تعتبر أقصر مرحلة مقارنة بالمراحل الأخرى حيث لم تستمر إلا لـ12 سنة، أشرف عليها أربعة أغوات انتهجوا في تسيير شؤون البلاد سياسة مستقلة عن الدولة العثمانية إلا أن ذلك لم يغير في الأوضاع شيئا حيث كثرت الفتن وزادت الاغتيالات ومن ضحاياها علي آغا الذي كان مقتله سببا في العزوف عن تولي هذا المنصب مما دفع بمجلس الديوان إلى نظام الدغاوية وتعويضه بنظام أكثر استقرارا وذلك باستحداث نظام جديد هو نظام الدايات.

رابعا- مرحلة الدايات (1671-1830م):

تعتبر أطول مرحلة حكم في نظام الحكم بالجزائر حيث امتدت لـ159 سنة، تداول على تسيير شؤون البلاد بها حكام منتخبون لهم مطلق الصلاحيات وصل عددهم 29 دايا، ولا يكبح من نفوذهم سوى مجموعة من الموظفين الكبار والقادة العسكريين الذين كانوا يجتمعون عادة بالديوان لتقديم النصح والمشورة لهم. ومما تميزت به هذه المرحلة الاستقلال الذاتي في تسيير شؤون البلاد داخليا وخارجيا. كما عرفت الكثير من من التكالب والتآمر الخارجي على الجزائر خاصة من فرنسا.

التنظيم الاداري:

ظهرت بوادر التنظيم الاداري للجزائر خلال فترة مبكرة جدا من الحكم العثماني لها بعد أن تولى عروج الحكم سنة 1516م وبسط نفوذه على المناطق المجاورة لمدينة الجزائر حيث قسم البلاد إلى قسمين؛ القسم الغربي بقيادته ومقره مدينة الجزائر والقسم الغربي تحت قيادة أخيه خير الدين ومقره مدينة دلس.

بعد استشهاد عروج خلفه خير الدين الذي قام بتنظيم الدولة واستعان في تسييرها بعناصر محلية، فعين ابن القاضي واليا على القطاع الشرقي وجعل مركزها ببلاد القبائل الكبرى وعين محمد بن علي واليا على الناحية الغربية.

عقب اتساع المجال الجغرافي للبلاد شرقا وغربا وجنوبا لجأ حسن باشا بن خير الدين إلى تقسيم البلاد إلى أربع ولايات؛ دار السلطان وبايليك الشرق وبايليك الغرب وبايليك التيطري.

أولا- دار السلطان :

تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا ومن ساحل البحر التموسط شمالا إلى سفوح الأطلس البليدي جنوبا كما تظم اقليمي الساحل ومتيجة وبعض الامتدادات في بلاد القبائل. أما عاصمته فمدينة الجزائر، أهم مدنه بالاضافة الى مدينة الجزائر؛ البليدة و القليعة وشرشال ودلس.

تخضع دار السلطان لحاكم الجزائر مباشرة ويساعده الكثير من الموظفين السامين مثل الخزناجي وآغا العرب وبيت المالجي وخوجة الخيل ووكيل الحرج. يعمل تحت سلطة هؤلاء العديد من الموظفين الثانويين كالكتاب وجماعة الخوجات كخوجة القصر وخوجة الجمارك وخوجة الغنائم..

ثانيا – بايليك الشرق :

- تأسس عام 1567م ومقره مدينة قسنطينة، أما أهم مدنه بعد قسنطينة فهي عنابة وبسكرة وبجاية وجيجل وتبسة. يعتبر أهم وأكبر البايليكات من جميع النواحي فقد ساهم وفرة انتاجه وتنوعه يحتل الصدارة على مستوى الإيالة في قيمة الدنوش التي تدفع لبيت المال، تعاقب على حكمه 46 بايا، أولهم رمضان توشلاق (1574/1567)وآخرهم أحمد باي (1837/1826).

ثانيا- بايليك الغرب :

- تأسس عام 1563م وهو أقدم بايليك من حيث التأسيس وثاني بايليك من حيث الأهمية والمساحة. يتميز بطابعه العسكري نظرا للظروف الامنية التي شهدها. اتخذ العثمانيون أكثر من عاصمة للبايليك (مازونة ثم معسكر ثم وهران ثم مستغانم ثم معسكر ثم وهران).

يضم البايليك عدة مدن مهمة وهي ؛ وهران وتلمسان ومعسكر ومستغانم وملیانة وتنس.

ثالثا- بايليك التيطري :

يحتل موقعا وسطا بين البايليكات الاخرى. حيث يتصل من ناحية الشمال بدار السلطان ومن الشرق بمنطقة الزاب ومن الجنوب ببلاد الجريد ومن الغرب ببايليك الغرب، يمتد شمالا إلى جبال بني صالح وبني مسعود وموزايا، ومن الشرق يشمل بني سليمان وعريب وونوغة ومن الغرب قيادة جندل وأولاد خليف وأخيرا من الجنوب يضم الاراضي الواسعة المحصورة بين بين جبال الصحاري وبين الأغواط.

تأسس العام 1548م، وهو أصغر البايليكات مساحة بامتداد يقدر بحوالي 260كم من الشمال إلى الجنوب و170كم من الشرق إلى الغرب. كما يعتبر أفقر البايليكات

وأقلهم أهمية والأكثر ارتباطا بالسلطة المركزية، ونظرا لقربه من دار السلطان كانت باياته تحت المراقبة المباشرة للباشا احترازا مما قد يشكلونه من خطر على الحكم.
تداول على تسييره 25 بايا، كان اولهم رجم باي وآخرهم مصطفى بومزراق.

جهاز الحكم:

يتكون مما يلي:

1-الحاكم: وهو يمثل السلطة في البلاد وقد تغير لقبه وفق المراحل السياسية التي مرت بها البلاد (البايلرباي- الاغا- الباشا- الداي).

2-الديوان: وهو نوعان:

1.2-الديوان الخاص: يمثل الوزراء وكبار رجال الدولة يضم كل من:

-الخزناجي: يتولى خزينة الدولة وهو الوحيد الذي بحوزته مفاتيح بيت المال، يقوم بتسليم المداخيل ويدير شؤون السكة ويشرف على الإنفاق.

-خوجة الخيل: يشرف على أملاك الدولة ويجمع الضرائب من البايلكات، كما يمون دار السلطان بالمواد الغذائية الضرورية.

-الآغا: هو القائد البري، دوره الحفاظ على الأمن، يتلقى أوامره مباشرة من الحاكم.

-وكيل الحرج: يتولى شؤون البحرية والخارجية، حيث يراقب النشاط البحري ويشرف على أعمال الترسانة البحرية وينظر في توزيع الغنائم ويتواصل بقناصل ومبعوثي الدول الاوروبية.

-البيت المالجي: يراقب الأملاك والثروات التي تعود إلى الدولة نتيجة المصادرة أو انعدام الورثة كما يشرف على أملاك الأوقاف عموما.

2.2-الديوان العام: يتكون من الكتاب وكبار الضباط إضافة إلى حاشية الحاكم.

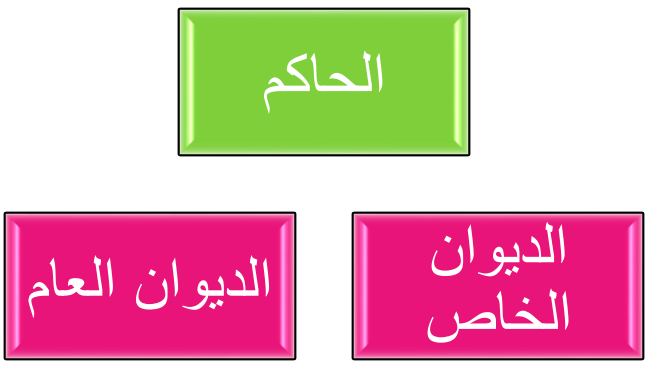

النظام الاداري بالبايليكات الثلاث:

يشرف على البايليك بايا معينا من طرف الداي، وهو أكبر منصب إداري بعد الموظفين الاربعة الكبار بديوان دار السلطان، يتمتع الباي بصلاحيات سياسية

وعسكرية واسعة في تسيير مقاطعته بمساعدة عدد من العمال المشكلين للديوان المحلي للبايليك وهم:

1-الخليفة:

يشرف على شؤون المدن والقرى وتمتد سلطته على كامل البايليك يخدمه عدد من القادة وتحت تصرفه كل القوات النظامية لاستخلاص الضرائب وفرض الطاعة على الاهالي.

2- الخزناجي: يدير كل المصالح المالية ويراقب عملية تحصيل الضرائب ويتولى تسديد مختلف أوجه الانفاق بالبايليك.

3- آغا الدايرة: يعرف أيضا بآغا العرب أو الباش آغا أو خوجلة الخيل وهو قائد الحامية العثمانية المستقرة بالبايليك، يتلقى أوامره مباشرة من الداي ويقوم بعزل أو إعدام او تغيير البايات الجدد عندما تصدر له الاوامر بذلك، وهو قائد فرسان المخزن ويمكن أن يقود حملات تأديبية ضد القبائل المتمردة.

4- قائد الدار: يشرف على الأمور الادارية وعلى شرطة المدينة ويدفع أجور المليشيات ويرأس مخازن الحبوب كما له سلطة قضائية أحيانا.

كما يوجد موظفين آخرين أقل أهمية لا يستدعون لحضور ديوان البايليك إلا عند الضرورة وعند التكليف بمهام معينة من طرف الباي كشيوخ القبائل وحاملي الألوية وحاجب الباي.

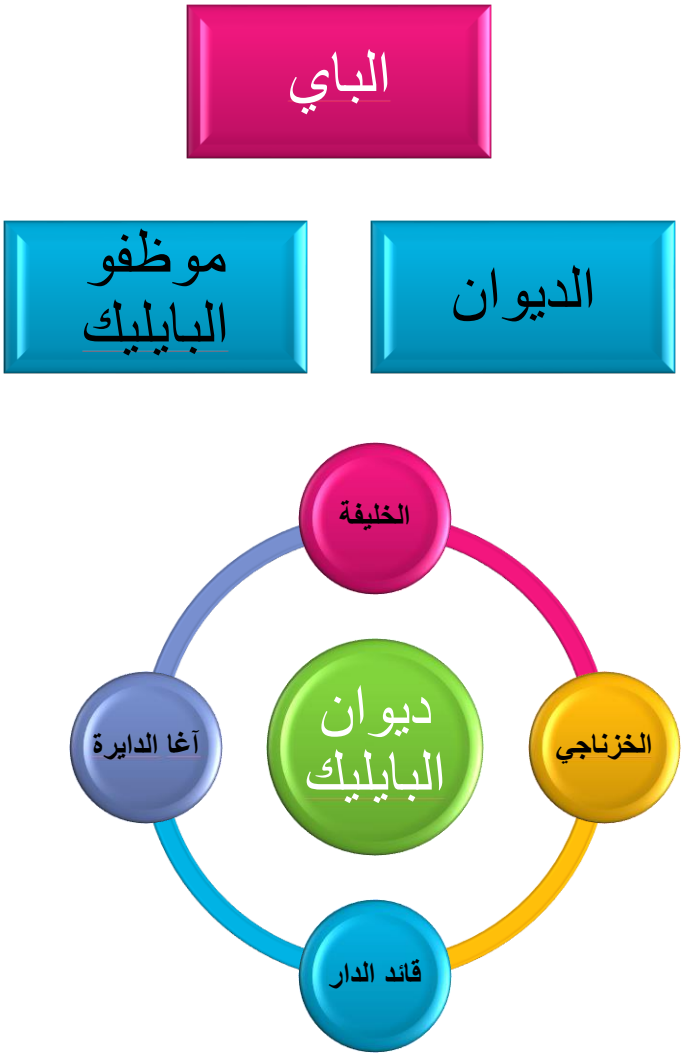

الحياة الاجتماعية :

1-الحضر: وهم سكان المدن والذين يتشكلون من الأتراك والكراغلة والأغنياء وأهل الذمة إضافة إلى الاندلسيين والأشراف.يتمركزون خاصة في بالمناطق الساحلية حيث تتوفر مختلف المرافق.

2-البرانية: وهم البدو غير المقيمين بالمدن أصلا، نزح بعضهم من المناطق الداخلية نحو المدن كالبربر والمزابية والافارقة، ورغم دورهم الاقتصادي المهم إلا انهم كانوا مهمشين كثيرا.أما من استقروا بالريف فكان يغلب على نشاطهم الفلاحة.

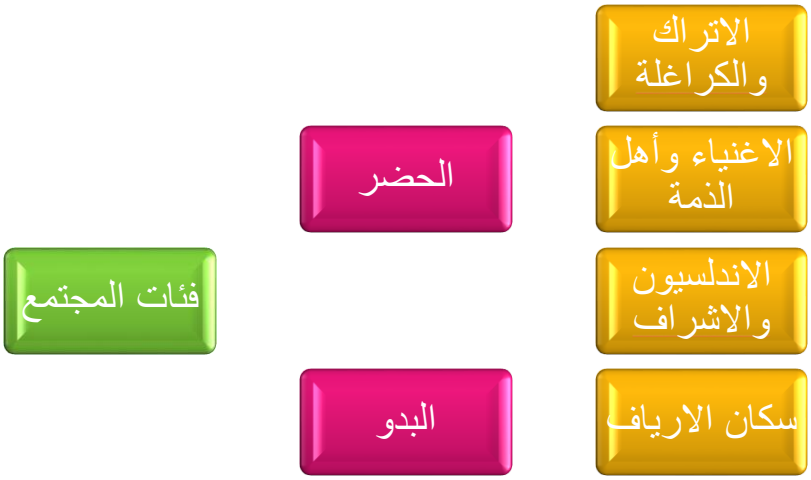

ـ العادات الاجتماعية:

هذه العادات تميز بها سكان المدن خاصة، ومنها احياء ليلة القدر وختم صحيح البخاري والاحتفال بالمولد النبوي الشريف وكان يصاحب هذه المناسبات ايقاد الشموع وإنشاد التواشيح والتزين والتطيب.

كما عرف المجتمع عادات اخرى كثيرة ومنها توديع واستقبال الحجاج واستقبال المنتصرين في الحروب البحرية من رياس البحر السهر في رمضان والقيام بالالعاب البهلوانية وغيرها.

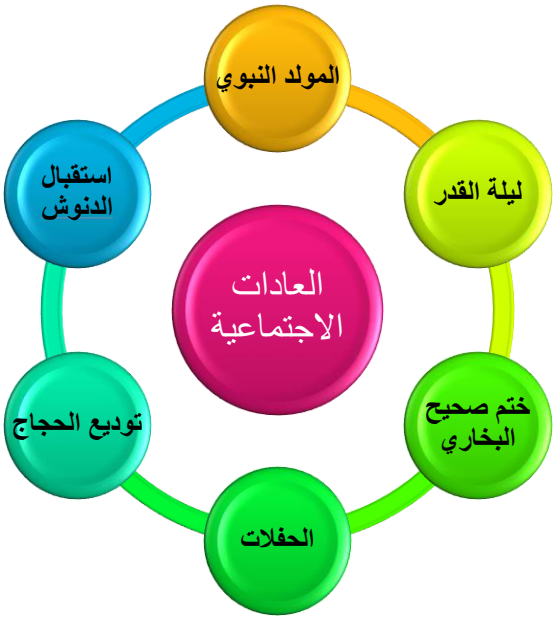

- **عادات أخرى:**

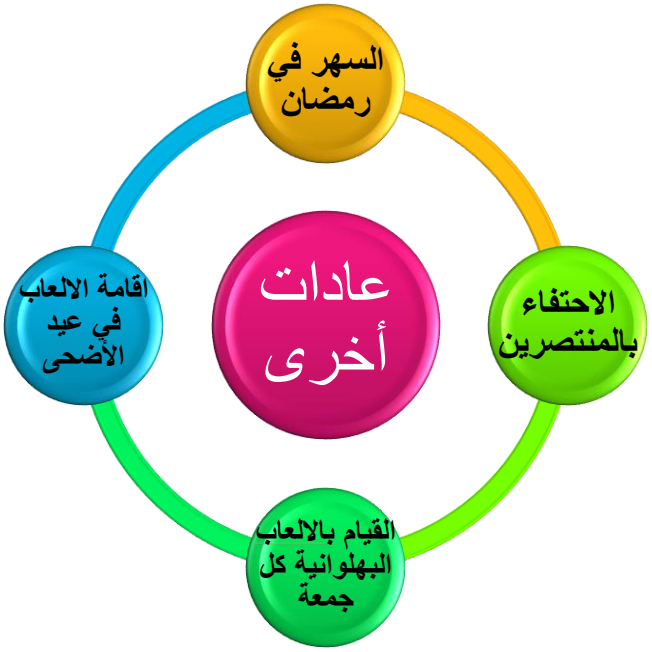

- الحياة الثقافية:

لقد نشطت الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني من خلال مؤسساتها الثقافية والتي تمثلت بالخصوص في المساجد والمدارس والكتاتيب إضافة إلى الزوايا والرباطات والمكتبات، كما كان للمؤسسات الخيرية ممثلة خاصة في الأوقاف دور كبير في تنشيط الحياة الثقافية.

- **الحياة الاقتصادية :**

لم يكن النشاط الاقتصادي كبيرا في الجزائر، وكان مقتصرا على بعض النشاطات ومنها الخدماتية التي تقدمها الحمامات والمقاهي، والأنشطة الحرفية ممثلة في حرفة الدباغة والخياطة والصياغة والتعدين وغيرها، إضافة إلى النشاط التجاري الخارجي من تصدير واستيراد والداخلي من خلال الاسواق والحوانيت.

وكان لكل فئة من المجتمع نشاطها الخاص بها، فالميزابية اشتهروا بالعمل في الحمامات والقصابات ومطاحن القهوة وبيع الخضر، واشتهر اهل مراكش بحفر الآبار وبناء المنازل كما نظم بعضهم إلى الجيش. وعمل الافارقة الزنوج في تنظيف المنازل وطلاءها وحفر الآبار وصاعة الأحذية وقرب الماء كما اشتغلوا في الفرق الموسيقية. اما قبائل المخزن فعملوا في تربية الماشية والزراعة والمشاركة الحملات الحربية. بنما كان لليهود دور اقتصادي كبير حيث سيطروا على التجارة الداخلية الخارجية كما تولوا مناصب سياسية وادارية كوظيفة الخزنجي.

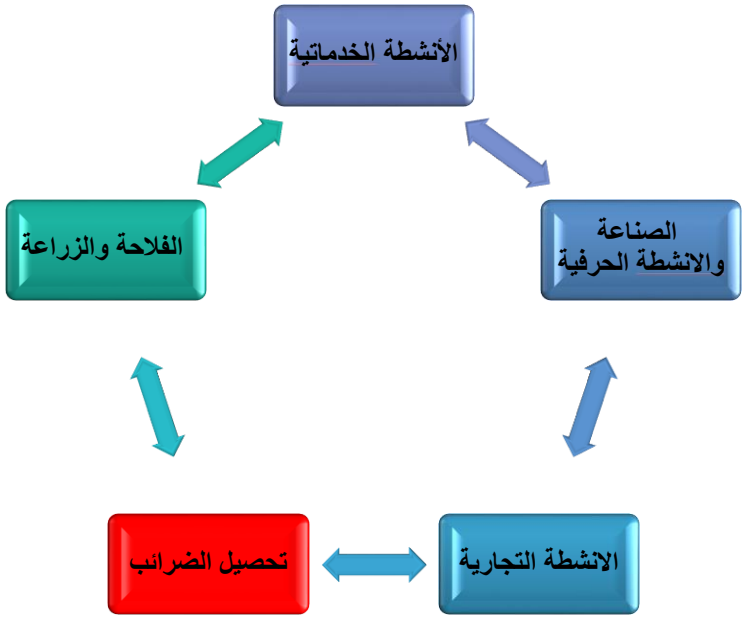

العوامل المؤثرة في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية:

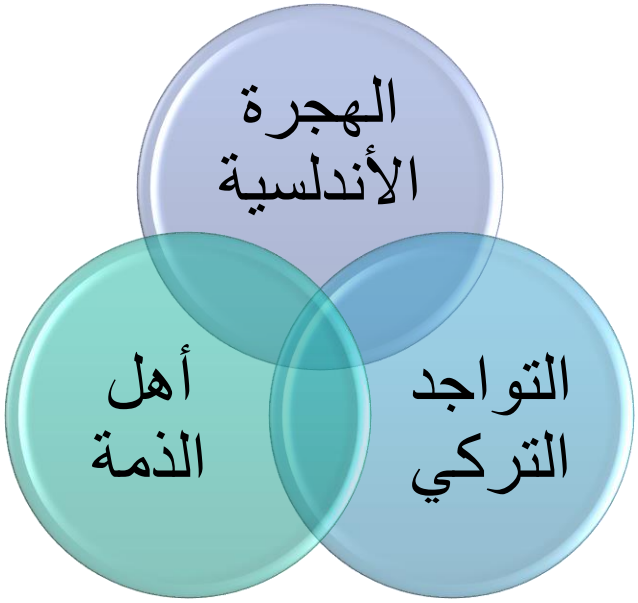

1-الهجرة الأندلسية: تمت هذه الهجرات خلال القرن التاسع وخاصة العاشر، وتمت نحو الجزائر وشرشال وتنس وغيرها، وقد شكل الاندلسيون عنصرا بارزا ومؤثرا لحركيتهم التجارية ولكفاءتهم وخبرتهم وقد طبعوا المدن الجزائرية وخاصة الساحلية بطابعهم المعماري.

2-التواجد العثماني: ربط العثمانيون بقدومهم المجتمع الجزائري بالمجتمع الشرقي حيث جاءوا بعادات شرقية في المأكل والملبس فضلا عن مساهمتهم في النشاط المعماري والحرفي.

3-أهل الذمة: لم يكن تأثير أهل الذمة كبيرا، ومع ذلك فقد كانت لهؤلاء السكان عاداتهم وتقاليدهم وعمائرهم، وقد اشتغلوا في الزراعة والبناء والنظافة والطب بل وبعضهم تقلد مناصب سياسية وإدارية حساسة وقد أثروا في المجتمع بشكل أو آخر.

المحاضرة الرابعة

مدخل إلى المدينة الاسلامية

مقدمة

تعتبر المدينة بحق أعظم منجزات الإنسان الحضارية ، وقد عرفها منذ الألف الثالثة قبل الميلاد.

وكان من الطبيعي أن تنشأ في ظل الحضارة الإسلامية طائفة من المدن نخصها بالذكر؛ الكوفة والبصرة والفسطاط والقيروان وتيهرت وفاس وقرطبة والقاهرة وغيرها.

ولم تكن هذه المن تنشأ اعتباطا بل كان يجري تأسيسها حسب تخطيط مسبق سواء من حيث اختيار الموقع أو التقسيم أو البناء أو التحصين

وقد ازدهرت هذه المدن ووصلت سمعتها وشهرتها إلى أبعد مما وصلت إليه العديد من المدن الحديثة وصارت مضرب الأمثال في مظاهرها العمرانية وأنماطها الاجتماعية ومنا شطها الثقافية والفنية.

مفهوم المدينة :

لغة: لفظة مدينة تعود في الأصل إلى كلمة دين بمعنى القانون (عند الأشوريين والأكاديين) كما وردت كلمة الديّان وهي مرادف للملك أو الحاكم وحتى للقاضي.

كما يثبت التفسير الفقهي هذا المعنى حيث يذكر الإمام أبي حنيفة "أن صلاة الجمعة تختص بها الأمصار دون غيرها وأنه لا يجوز إقامتها في القرى " باعتبار أن المصر" هو ذلك المكان الذي يوجد فيه سلطان يقيم الحدود وينفذ الأحكام".

وقد ورد ذكر لفظ المدينة 17 مرة في القرآن الكريم.

أما اصطلاحا فالمدينة شكل من التجمعات البشرية بالغ الكثافة والتنظيم والتعقيد كما أنها التحام بين مقومات روحية ومعنوية ومكونات مادية مجسدة للأولى ولا يمكن الفصل بينهما. فالقرية هي أيضا تجمع بشري لكن يسيطر عليه البساطة عكس التجمع الحضري (المدينة) الذي يتصف بالتعقيد. وقد قال ابن خلدون في وصفه للمدن:(..فالمدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير...)

نشأة المدينة الإسلامية:

نزلت رسالة الإسلام ووطدت أقدامها وبزغت بعد ذلك ببضعة قرون فحسب شبكة من المدن العظيمة تمتد من الهند إلى المغرب يتدفق فيما بينها برا وبحرا مختلف أنواع المنتجات فضلا عن جميع أنواع المعارف والأفكار والثقافات.

وتعد المدينة المنورة المرجع الأصلي لنظام المدينة كما تعد عمارتها مرجعا أولا للعمارة الإسلامية لكونها أول مدينة وضع أسس نظامها رسول الله صلى الله عليه وسلم تزامنت مع تأسيس نظام الدولة الإسلامية ونظام الأمة الإسلامية.

وقد كانت قبل الإسلام كما يذكر ياقوت الحموي " مقسمة إلى محلات سكنية منفصلة تسكنها قبائل الأوس والخزرج العربية وقبائل اليهود قريظة والنظير ... وكانت بها أطام...وفي أطراف المحلات أسواق وبها سقائف تجتمع فيها القبائل".

وبالمفهوم الحديث فهي تجمع من نمط ريفي يعتمد في إنتاجه على الزراعة ويمتد في أرض واسعة ضعيفة الكثافة تتخللها محلات سكنية منفصلة.

وكان لهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الأثر البالغ في أعادة هيكلة المدينة وفي تغيير معالمها وكانت أول دار للهجرة حيث بدأ تأسيس الأمة ونظام الدولة في الإسلام فأسس مدينة لتجسد ماديا هذه المقومات الروحية والمعنوية وكانت مركز الخلافة وأول عاصمة للدولة الإسلامية ومن خلال الأعمال التي قام بها صلى الله عليه وسلم أصبحت يثرب "سابقا" النموذج الأول للمدينة الإسلامية.

المدينة المنورة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم:

استغل الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم من مكة أرضا غير مبنية ليؤسس فيها مدينته وفق منهجية مسطرة، وكان أول عمل قام به هو بناء المسجد ثم قسم الأراضي إلى خطط، وهي الوحدة العمرانية الأساسية وفق نمط التوزيع القبلي واحتوت هذه الخطط عادة على مساجد صغيرة للصلوات الخمس ومقبرة وبالتالي أخذت الخطط شكلا مصغرا للمدينة ثم باشر عليه الصلاة والسلام بإنشاء سوق كمركز ثان للمدينة ذا طابع اقتصادي وكان عبارة عن مساحة فضاء، ومن المحتمل أنه كان في الجانب الغربي من المدينة "خارجها" وعيّن مصلى لصلاة العيد وغيرها كما خط صلى الله عليه وسلم شوارع وسكك للربط بين التكوينات المعمارية.

كما تم حفر الخندق في الجهة الشمالية"الضعيفة دفاعيا"لتحصين المدينة ونصب خيمة للتداوي في فناء المسجد لدى عودته من غزوة الخندق، هذا بالإضافة إلى تخصيص دار لاستقبال الضيوف والوفود كما أقر عليه الصلاة والسلام إحياء الأراضي الموات إضافة إلى أقراره لنظام الوقف.

شروط اختيار موقع المدينة:

ا- عند بن الربيع (هو شهاب الدين أحمد بن محمد المتوفى سنة 272هـ/885م في كتابه سلوك المالك في تدبير الممالك)

1- سعة المياه المستعذبة
2- الميرة المستمدة
3- اعتدال المكان

4- جودة الهواء
5- القرب من المرعى والاحتطاب
6- تحصين منازلها من الأعداء والذعار وإعداد سور يحيط بها

ب- عند ابن خلدون:

يرى ابن خلدون في اختيار مواقع المدن وتخطيطها :

1- أن تحاط بسور يدفع المضار
2- أن تحتل موضعا ممتنعا من الأمكنة أو على نهر أو باستدارة بحر
3- مراعاة اتخاذ الموقع الذي يتمتع بطيب الهواء للسلامة من الأمراض
4- سهولة جلب الماء بأن يكون البلد على نهر أو بإزائه عيون عذبة
5- طيب المراعي لسائمتهم
6- مراعاة المزارع فإن الزرو ع هي الأقوات

شروط إنشاء المدن:

يذكر ابن الربيع في شروط إنشاء المدن ما يلي:

1- أن يسوق إليها الماء دون مشقة
2- أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق
3- أن يبني فيها جامعا للصلاة ليقرب على جميع أهلها
4- أن يقدر أقواتها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب
5- أن يميز قبائل سكناها بأن لا يجمع أضدادا مختلفة متباينة
6- إن أراد سكنها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته
7- أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة
8- أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها.

التكوينات المعمارية في المدينة الإسلامية:

يتكون مخطط المدينة الإسلامية من مباني رئيسية تشكل الهيكل المادي للمدينة.

1- المسجد: هو أول ما يشيد بالمدينة ويمثل نقطة جذب وتوحيد لأطراف المدينة ومن خلال موقعه المركزي يتم تقسيم أراضي المدينة وتنظيمها.

2- الخطة: وهي الوحدة العمرانية وبمجموعة هذه الوحدات تتشكل المدينة، تتكون من مجموعة من المساكن التي تلتف حول المركز(الخطة)الذي هو عبارة عن أرض فضاء غير مبنية في الغالب يستغل جزء من هذا الفضاء لبعض منشآت الخطة

كالمسجد والمقبرة ومرابط الإبل، أما دور الخطة فتلتف كل واحدة حول مركزها وهو فناء الدار.
وبالمحصلة تتكون لدينا صور مركزية متدرجة من الخلية الأولى وهي الدار إلى الوحدة ثم الخطة فالمدينة(الهيكل العام والشامل).

3- المسالك والطرق : هي العنصر الرئيسي الثالث في تشكيل هيكل المدينة، وهو الشريان الذي يوصل بين قلبها وبقية أطراف جسدها فتنتظم بذلك حركتها وهي تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

أ- الشوارع الرئيسية : وهي المسالك الأهم للمدينة التي تربطها بالمناطق المجاورة.
ب- الطرق الفرعية : متوسطة الحجم دورها يتمثل في الانتقال من الشوارع الرئيسية إلى الدروب والأزقة والتي تؤدي إلى الخطط.
ج- الدروب والأزقة: وهي في معظمها غير نافذة صغيرة المقاييس، دورها ربط الخطة بالطرق الفرعية فالشارع الرئيسي(تتوغل داخل الخطة).

4- الأسوار: تبنى بسمك معلوم وارتفاع محدد وهي إضافة إلى الخنادق عبارة عن مباني دفاعية سنها رسول الله صلى الله عليه وسلم دورها:

أ- تحقيق الأمن والاستقرار وحماية المدينة
ب- رسم حدود المدينة (الفراغ) القابل للتعمير
ج – تحقيق الحرمة(الانفتاح نحو الداخل والتوجه نحو السماء "نفاذ رأسي")

5- الرحبات والميادين: يقصد بالميادين الفراغات غير المبنية والتي أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية وتعددت وظائفها:

- متنفس للمدينة وراحة للرؤية
- أهم مجالات اللقاء والتبادل الإعلامي
- المجال الملائم لكل الممارسات الجماعية
- أقيمت فيها الأسواق
- اتخذت كمصليات
- استعملت للاستعراضات العسكرية واللقاءات الثقافية

المدن الإسلامية الأولى:

ظهر في صدر الإسلام العديد من المدن أهمها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان وهي تتشابه إلى حد كبير مع تخطيط المدينة المنورة.

- البصرة: بنيت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام 14هـ ارتبط تأسيسها بالفتوحات الإسلامية في بلاد العراق وفارس وكان لموقعها أهمية بالغة حيث قال عنها عمر رضي الله عنه: (هذه أرض بصرة قريبة من المشارب والمراعي والمحتطب). بنيت في بداية عهدها بالقصب على غرار الكوفة.

- الكوفة: مصرت عام 17هـ في خلافة عمر رضي الله عنه وكان لاختيار موقعها اعتبارات اجتماعية وعسكرية واقتصادية وكان أول ما اختط فيها سعد بن أبي وقاس رضي الله عنه المسجد وهو مركز المدينة ثم دار الإمارة، وقد تم توزيع الخطط وفق التركيب الاجتماعي والمطابق لنظام تقسيم الجيش إلى وحدات قبلية.
وقد بنيت الكوفة في أول الأمر بالقصب فلما شب فيه الحريق أعيد بناءها باللبن أو الحجارة.
وقد حدد الخليفة عمر اتساع الشوارع "الأزقة" بـ7 أذرع كما فعل الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر بأن تتوسط كل خطة ساحة أو رحبة طول ضلعها 60 ذراعا.
وكان عرض شارعها الأعظم كما يذكر الرواة 60 ذراعا وما سواه 20 ذراعا وعرض كل زقاق 7 أذرع وجعلوا وسط كل خطة رحبة فسيحة لمرابط خيلهم ومقابر موتاهم.
أما عن الميادين فإضافة إلى الرحبة الرئيسية والتي سميت فيما بعد بالميدان المركزي حيث يوجد المسجد الجامع ودار الإمارة، كان هناك-كما أسلفنا- رحبات الخطط التي كانت عبارة عن ساحات تمارس فيها مختلف النشاطات (استعراضات الجند واللقاءات الثقافية) كما استعمل جزء منها كمقبرة.

الفسطاط: تأسست عام 21هـ في خلافة عمر بن الخطاب على يد عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد خضعت لنفس الخطة التنظيمية للمدن الإسلامية الأولى وقد اختط عمر للمسجد ثم للقبائل حواليه.
وللعلم، فإن هذه المدن لم تأخذ شكلها النهائي والتام إلا في عهد الخلافة الأموية.

لا يمكن دراسة المدينة الإسلامية باعتبارها مجرد نسق معماري أو تراث من الآثار ينتمي إلى الماضي، إذ أنها تعبر عن مجموعة من القيم وتظل عنصرا هاما من عناصر الذاتية الثقافية للشعوب المسلمة ومن ثم وجب الحفاظ على هذا التراث وإقناع السلطات لصونه قبل أن يندثر باعتباره مستهلك تافه القيمة خاصة إذا كان هناك مغنم من استبدال الجديد بالقديم.

قائمة المصادر والمراجع:

- مصطفى عباس الموسوى، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الاسلامية، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، 1983م.

- هشام جعيط، الكوفة، نشأة المدينة الغربية الاسلامية، برنامج كاتب كتاب، الطبعة الأولى، الكويت، 1986م.
- أندريه ريمون، المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة؛ لطيف فرج، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، 1990م.
- محمد عبد الستار عثمان، المدينة الاسلامية، عالم المعرفة، 1988م.
- عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات، المدينة في العصر الوسيط، المركز الثقافي العربي، الطبعة الاولى، 1994م.
- المهدي البوعبدلي، تاريخ المدن، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2013م.
- ميادة عبد الملك محمد صبري، "تخطيط وعمارة المدينة الاسلامية"، مجلة كلية التربية، العدد 12، واسطن العراق.
- علي سيد عباس،"أثر البعد البيئي على تخطيط المدنو العمارة العربية الاسلامية"، مؤتمر الأزهر الهندسي الدولي التاسع، 2007م.
- ضياء نعمة محمد وعماد مهدي حسن،" أثر العموامل الاجتماعية في تخطيط وعمارة المدن العربية الاسلامية"، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والانسانية، العدد 26، جامعة بابل، نيسان 2016م.
- خالد محمد عزب، تخطيط وعمارة الاسلامية، كتاب ضمن: مجلة كتاب الأمة، العدد 58، ربيع الأول 1418ه، الطبعة الأولى، السنة 17.
- محمد زياد ملا،"المعايير التخطيطية لطرقات المدينة الاسلامية (الماضي – الحاضر- المستقبل)"، المؤتمر العلمي الثاني لهيئة المعماريين العرب (المعايير التخطيطية للمدن العربية)، طرابلس، ليبيا، من 6 إلى 8 ماي 2001م.

المحاضرة الخامسة

التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

التطور العمراني لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

الموقع الجغرافي والفلكي: تقع مدينة الجزائر شمال الجزائر عند السفح الشرقي لجبل بوزريعة، تقوم على ربوة تزيد ارتفاعا كلما توجهنا غربا، أما فلكيا فتقع على خط عرض 36.46° شمالا وخط طول 3.3° شرقا. وهي تقع في منطقة معتدلة حيث يسودها مناخ البحر الأبيض المتوسط.

تأسيس ونشأة مدينة الجزائر:

تأسست المدينة خلال القرن السادس قبل الميلاد من قبل الفينيقيين، ليحتلها الرومان بعد ذلك، وفي سنة 429م احتلها الوندال الذين مكثوا فيها إلى غاية 442م ثم وقعت تحت السيطرة البيزنطية.

فُتحت من قبل المسلمين على الأرجح ما بين سنتي 88 و95 للهجرة في ولاية موسى بن نصير. أعاد تأسيسها بلكين بن زيري بن مناد عامل الفاطميين، إلى جانب مدينتي مليانة والمدية، وجلب إليها قبيلة بني مزغنة الصنهاجية وكان ذلك عام 349ه.

في العام 475ه دخلت تحت حكم المرابطين ليحل محلهم عام 548ه الموحدون. في سنة 626ه وقعت تحت حكم الحفصيين. أُلحقت بتلمسان الزيانية عام 712ه ثم حكمها المرينيون ثم الثعالبة، وفي سنة 924ه/1518م دخلت تحت حكم العثمانيين، وبقت كذلك إلى غاية الاحتلال الفرنسي لها سنة 1830م.

تسمية المدينة:

كانت مدينة الجزائر خلال العهد الفينيقي معبرا بحريا، وقد سُميت بـ"إكوسيم" ((Ikosim، ومعناها جزيرة الشوك أو طيور البحر. خلال العهد الروماني والبيزنطي حُوِّر اسمها إلى إكوزيوم (Icosuim). اختطها بلكين بن زيري وسميت حينها بـ"جزائر بني مزغنة" وأيضا "جزائر الثعالبة". خلال العهد العثماني سُميت بـ"جزائر الغرب" وأيضا "المحروسة" و"دار الجهاد".

التطور العمراني لمدينة الجزائر قبل العهد العثماني :

بنيت الجزائر عند شاطئ البحر على قاعدة واسعة نسبيا في شكل نصف دائري على هضبة شديدة الانحدار الذي يصل إلى نحو 15 %، يبلغ قطرها نحو ميل ونصف. كانت في الأصل عبارة عن سوق بسيطة يرتادها تجار القرى المجاورة ثم ازدهرت لتعرف توافد البحارة عليها سواء من الاندلس أو إفريقيا أو بلاد المشرق.

خلال القرن الثالث الهجري ذكرها اليعقوبي (ت. 265ه) في كتاب البلدان، وكانت تقع ضمن قبيلة صنهاجة كما قال ابن خلدون، ومزغنة كانت بطنا من بطون صنهاجة، ليأتي ذكر الجزائر لدى ابن الخطيب(327ه)، خلال تلك الفترة أقطع الفاطميون المدينة لبني مزغنة، وفي نهاية القرن الثالث الهجري جدد بلكين بن زيري بناء المدينة وكثر عمرانها حيث أصبح النشاط البحري التجاري رائجا جدا حيث يجوب الأندلسيون سواحل المغرب الاسلامي رواحا و إيابا، ومن المؤكد أن سفنهم كانت ترسو بميناء الجزائر.

وقد نالت المدينة أهميتها بسبب نشاطها التجاري الكبير، وتذكر المصادر أن مساكنها خلال العهد الموحدي كانت تتشكل من طابق واحد ومسقوفة بالقرميد الأخضر على غرار المساكن الأندلسية وربما المحلية، ومع ازدهار التجارة زاد العمران وصار للأثرياء دورا جميلة.

في العام 921ه/1515م زارها حسن الوزان وذكر أن بها أربعة آلاف مسكن، ذات سور متين وأسواق منسقة وبها العديد من الفنادق والحمامات، يتوسطها جامع ممتاز ويحيطها عدد من البساتين والأشجار المثمرة.

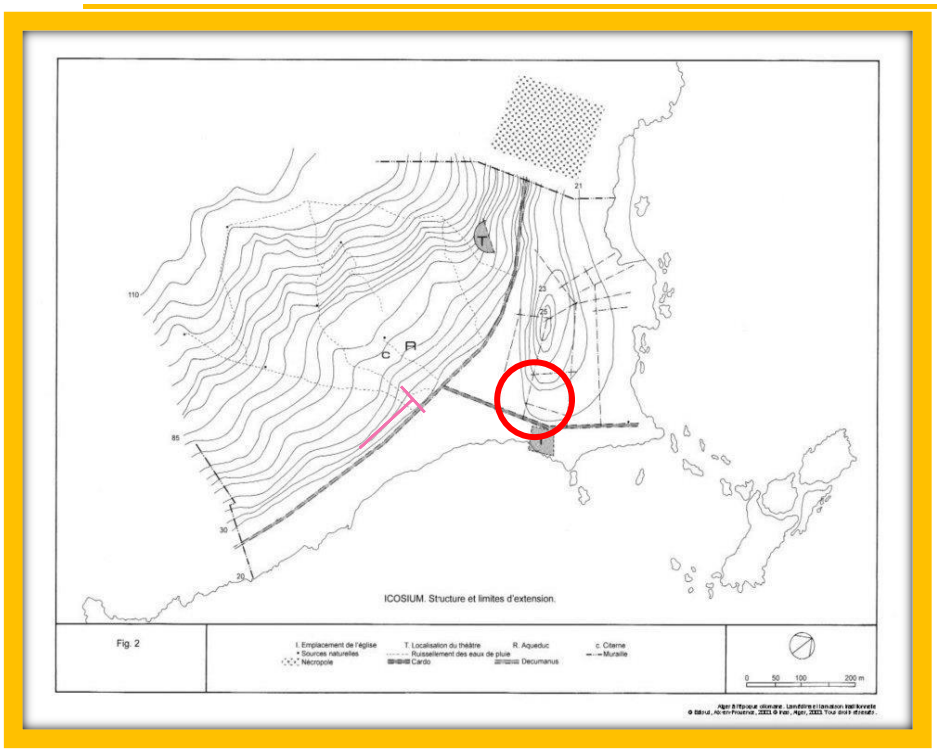

مدينة الجزائر في العهد الروماني

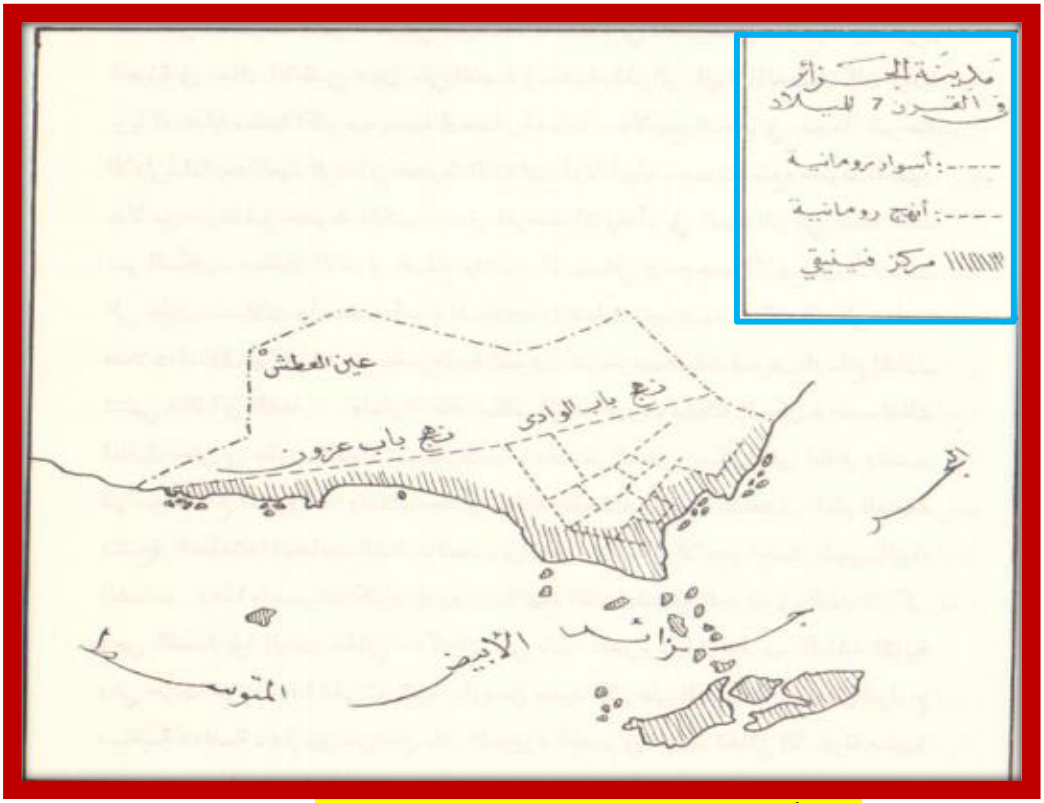

مدينة الجزائر خلال القرن السابع ميلادي

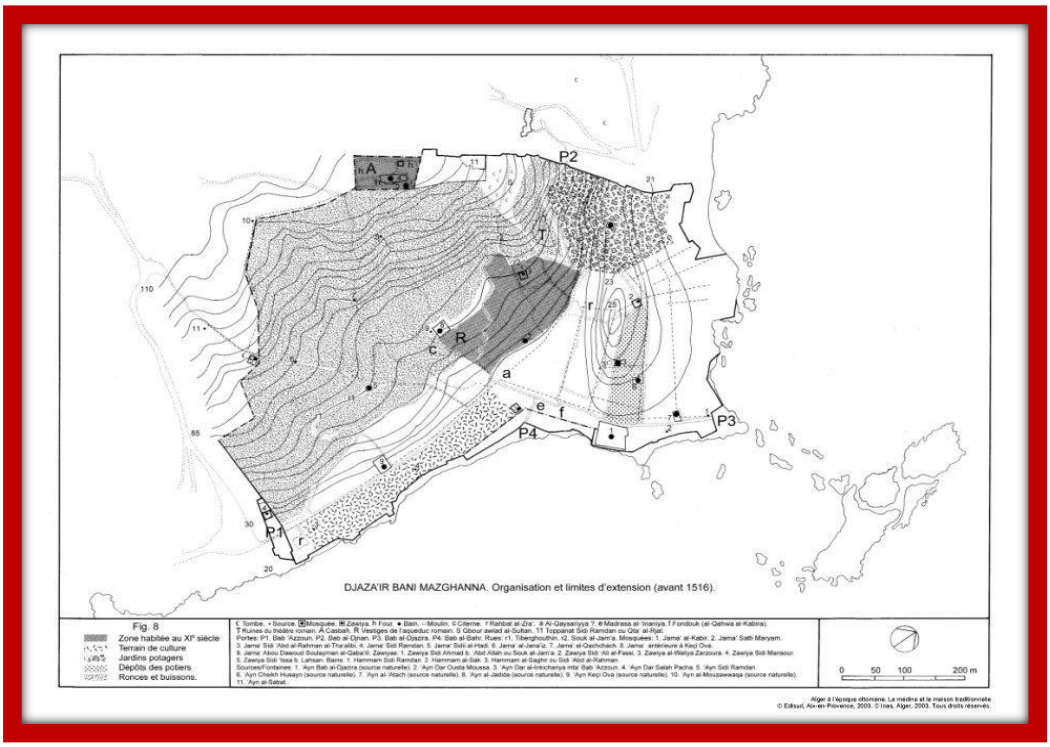

مدينة الجزائر في الفترة الاسلامية وقبل 1516م

تخطيط المدينة في العهد العثماني:

تمهيد:

كان بمدينة الجزائر قصبتان؛ قصبة بلكين وقصبة عروج، وقد بنيت قصبة العثمانيين (قصبة عروج) في موضع أعلى من القصبة الصنهاجية (قصبة بلكين)، حيث دفع عامل الأمن وازدياد السكان عروج بتوسيع المدينة نحو الغرب حيث المرتفع (الجبل).

وحسب مخطوط ابن المفتي حسين بن رجب الشاوش المكتوب ما بين سنتي 1753 و1755م؛ فإنه كان هناك حيان يعودان إلى سنة 400ه؛ يحتل الحي الأول المساحة التي شغلها فيما بعد قصر السلطان وكلها كانت يتشكل الحي القديمة – ومسجد مسجد سيدي ورغم أن ابن وحمامه يذكر المساكن للقمح وفرنين المحتمل أنها للخضر موجودة لصناعة الحيين أو أنها "الجنينة" كتشاوة، بينما الثاني من رمضان وطاحونة ومحلات وورشات الحايك، تشكل القصبة قصبة بلكين. المفتي لا إلا أنه من كانت بداخل هذين كانت تحتل الفضاء الواقع بين القصبة القديمة والبحر.

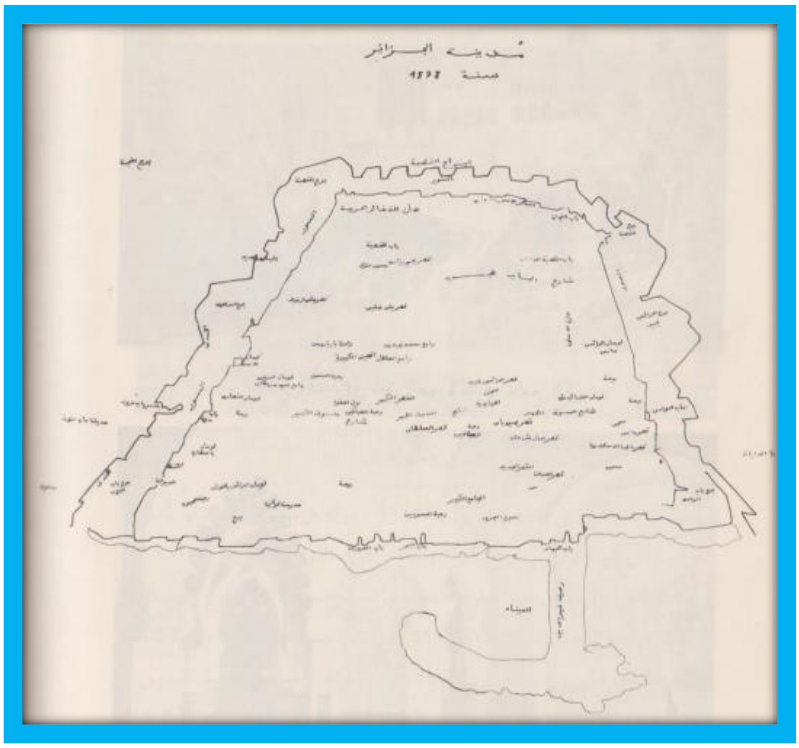

ما بين القرنين التاسع والسادس عشر الميلادي عرف النسيج العمراني تطورا معتبرا من خلال تعدد المنجزات المعمارية، حيث يذكر حسن الوزان وجود أربعة آلاف مسكن في بداية القرن السادس عشر، ليصل هذا العدد إلى 12 ألف مسكن مع نهاية القرن.

ويذكر أن عروج شرع في بناء القصبة بالأموال التي جمعها من تلمسان، وقد استمر العثمانيون في بناء القصبة حتى تاريخ 1590م، وجلبوا لها الحجارة من محجر باب الوادي إضافة إلى مقلع تامنفوست. ولعل من الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى توسيع المدينة نحو المرتفعات هو الخوف من القرصنة الأوروبية.

النسيج العمراني لمدينة الجزائر:

كانت مدينة الجزائر مقسمة إلى قسمين:

1. القسم الأسفل "الوطا": وهو القسم الذي يضم أغلب الهياكل السياسية والإدارية والاقتصادية.
2. القسم الأعلى "الجبل": وهو المنطقة السكنية.

مدينة الجزائر عام
1578م

أولا- مركز المدينة :

يقع في القسم الأسفل من المدينة، وكان يضم بالإضافة إلى المساجد الثلاثة الكبيرة؛ الجامع الكبير والجامع الجديد وجامع السيدة، ودار الإمارة "الجنينة" وجميع المراكز الرئيسية الإدارية والسياسية والعسكرية، إضافة إلى مساكن الطبقة الحاكمة وكبار الضباط والثكنات الإنكشارية التي تضم آلاف الجنود.

وكان الجامع الكبير يؤدي دورا مهما وسط المدينة وكان بجواره تقام الأنشطة الاساسية مثل سوق الصاغة وتجارة المنسوجات وغيرها.

ثانيا- الأحياء السكنية:

قدر رايموند(Raymand) عدد الاحياء في نهاية العهد العثماني بـ50 حيا، بينما قدرها سوفاجي (Seffadji) بـ70 حيا خلال القرنين 18 و19م، بينما تشير الوثائق إلى وجود 82 حيا ما بين سكني وتجاري، ومعلوم أن الحي يعرف محليا بـ"الحومة" وأحيانا بـ"الحارة".

وقد كانت الأحياء تستمد تسميتها من المعالم الدينية (مسجد – زاوية) أو مدنية (حمام) أو مرفق عمومي (سبيل – فرن- بئر) وأحيانا من خصوصية طبوغرافية للمنطقة، كما أن أسماء الأحياء السكنية أو الحرفية قد تتغير بتغيير الحرفة أو المكان، وقد يتغير اسم الحي ببناء معلم جديد فيحمل الحي اسمه، كما قد يحمل الحي غير المعروف باسم مميز اسم شخصية بارزة انتقلت للسكن به.

وكان كل حي يضم مسجدا وسوقا صغيرة "سويقة" وحوانيت، إضافة إلى حمام في الغالب، كما يتوفر على فرن لطهي الخبز والحلويات وعين أو سبيل للتزود بالماء، وبالمحصلة فكل حي يتوفر في الغالب على جميع المرافق الضرورية مما لا يضطر السكان إلى الذهاب إلى وسط المدينة الذي يكون بعيدا للغاية، وقد لا تتوفر بعض الأحياء على جميع المرافق كالحمام مثلا فتتوجه إلى الحي المجاور القريب.

وكان كل حي يتكون من مجموعة من المساكن تتخللها شوارع وطرقات تغلق من خلال أبواب، ومن مسجد يكون دائما داخل حدود الحي، ومجموعة من المرافق، وهي بالتالي تعتبر أحياء مكتفية ذاتيا ومتكاملة تربطها صلات قوية.

ثالثا- الشوارع والطرقات:

1. شارع باب الوادي – باب عزون: يربط ما بين البابين، وهي التي يوجد بها السوق الكبير، ويعتبر هذا الشارع أوسع الشوارع بعرض وصل إلى 8 م أحيانا، وكان يتواجد على طول الشارع محلات تجارية وحرفية.

2. شارع باب الجزيرة: يوجد في النهاية الجنوبية للقسم الاسفل من المدينة حيث يربط باب الجزيرة وبمحور الشارع السابق، وكان شارعا على قدر كبير من الأهمية حيث يستعمل في نقل البضائع من الميناء(وإليه) إلى المنطقة التجارية.
وهذان الشارعان هما الأهم في المدينة والأوسع تجاريا ويشكلان المحورين للقسم الأسفل من المدينة ويتميزان بالطول وبالاستقامة.

3. طريق باب الوادي – القصبة: ينطلق من شمال المدينة قرب باب الوادي ويتجه غربا نحو أعلى المدينة بطول 650م وبعرض يتراوح ما بين 3 و6م وهو يسير تقريبا بموازاة السور الشمالي للمدينة.

4. طريق باب الجديد: يربط مركز المدينة التجاري بباب الجديد بطول 500م وبعرض أقل من 3م، ويكاد هذا الطريق يتقاطع مع طريق باب الجزيرة.
كما توجد شوارع أخرى ثانوية ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بالشوارع الرئيسية، وبالتالي تكون تسير عمودية عليها أو موازية لها.
وبالإضافة إلى الشوارع؛ نجد الدروب الموصلة إلى الأحياء والمساكن وهي كثيرة، حيث تقدر مساحتها بـ45.7 بالمائة، وتزداد كثافة في القسم الأعلى من المدينة بنسبة تقدر بنحو 59.9 بالمائة. وكانت تسمية الشوارع والطرقات مرتبطة بالعديد من العوامل على غرار

الأحياء.

شوارع مدينة الجزائر عام 1831م

رابعا- المحيط الإنتاجي والحرفي:

كان المركز الاقتصادي هو العنصر المسيطر على التنظيم المكاني في المدن الاسلامية خلال العهد العثماني، وكانت مختلف الأنظمة الاقتصادية الرئيسية تتجمع في مركز المدينة بصورة واضحة.

وكان القسم السفلي من المدينة يضم أسواق المدينة الرئيسية والمقدرة بـ 15سوقا من بين 40 سوقا، والتي تقع بالقرب من سوق الصاغة ومن القيسارية والبادستان.

وكانت تنتشر على طول الشارع الرئيسي الأنشطة التجارية والتي تقل أهميتها كلما ابتعدنا عن الوسط "المركز"، وكانت توجد على طول هذا الشارع 9 فنادق من مجموع 18 فندقا المحصاة.

الفنادق بمدينة الجزائر

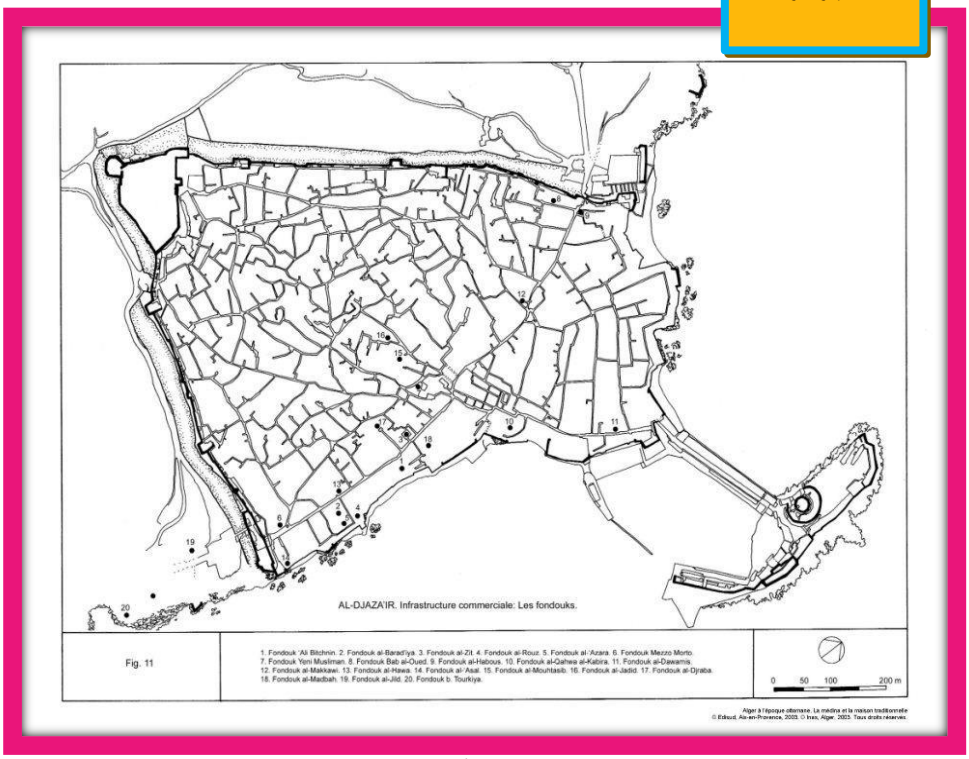

تجار وكان التوابل "العطارون" وتجار المنسوجات يوجدون في أقرب المواقع من مركز المدينة، وفي العهد العثماني أضيف إليهم تجار البن وهي تجارة مربحة وتباع بأغلى الاثمان.

أما دباغة الجلود وأفران الجير وورشات الفخار فكانت توجد خارج باب عزون. فالصناعة الأولى كانت موجودة بالخندق قريبا من البحر لتسهيل عملية تصريف المياه المستعملة. أما الصناعة الثانية والثالثة فكانت تتمركز في السفح الجنوبي الغربي للمرتفع،

هذا التوجيه يسمح بتصريف أفضل للدخان الناتج والتي تدفعها الرياح الشمالية -عندما تهب- بعيدا عن المدينة.

وأما الأنشطة المتعلقة بالحدادة فكانت موجودة في الطرف الجنوبي للمدينة بين السورين المشكلين لباب عزون. ونجد خارج باب الوادي سلسلة من الطاحونات على ضفاف البحر في حين أن المقلع نراه على سفح الجبل.

خامسا- التحصينات العسكرية:

كان يحيط بالمدينة سور جد متين، وصل ارتفاعه أحيانا إلى 13م وسمكه 2.5م، وتَبايُنُ ارتفاعه يرجع خاصة إلى طبوغرافية المنطقة وأيضا إلى موضع السور حيث يكون أكثر ارتفاعا ناحية البحر بسبب الخطر المتزايد.

ويحيط بالسور خندق عميق تراوح عرضه حسب بعض المصادر ما بين 18 و25م، يحيط هذا الأخير سور صغير بارتفاع يتراوح ما بين 1.40م و1.90م، وبسمك ما بين 0.30 و0.40م، أخذ في بعض المواضع شكلا قريبا من المثلث بعمق يتراوح ما بين 6 و8م، أما مواد بناء السور فتباينت ما بين حجارة وآجر وطابية، وكان يتخلل السور العديد من الأبراج.

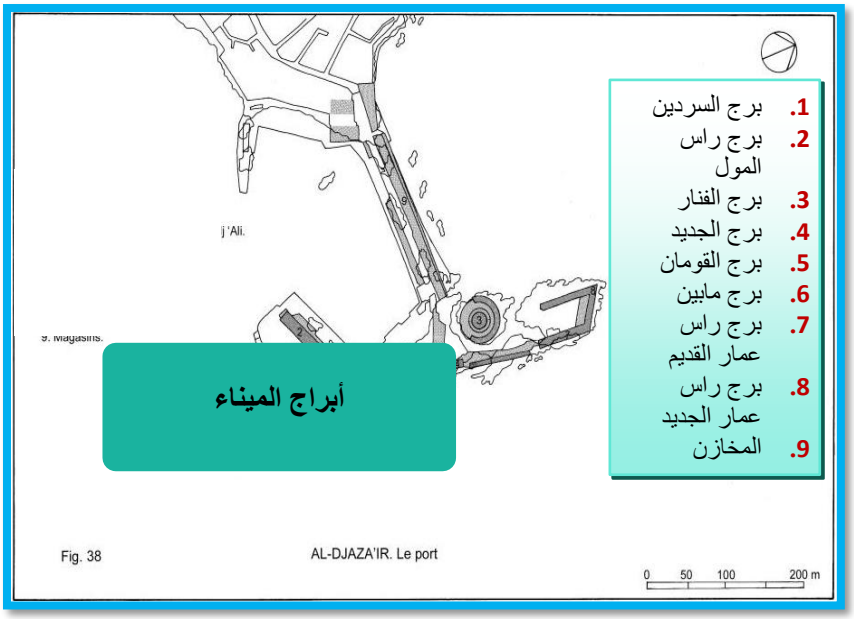

سادسا- أبواب المدينة:

1. **باب عزون:**

يسمى كذلك نسبة إلى أحد ثوار الأهالي اسمه عزون ثار ضد الحكم العثماني، وهو يعتبر أهم أبواب المدينة، وكان يدخله القادمون من الجنوب ومن الشرق ومن السهل المتيجي عن طريق الحراش، وكان لهذا الباب جسر يرفع أثناء الخطر.

2. **باب الجديد:** يقع في الجهة الجنوبية الغربية يدخل منه القادمون من الغرب ومن البليدة، وهو طريق وعر حيث يمر على الروابي والمرتفعات.
3. **باب الوادي:** نسبة إلى الوادي الذي يمر بجانبه وهو أقل الأبواب أهمية به جسر مثل جسر باب عزون.
4. **باب الجزيرة:** سمي أيضا بباب الجهاد لأنه المدخل المخصص لدخول وخروج القوات البحرية، سماه الفرنسيون باب فرنسا ثم باب البحر، يعتبر أكثر الأبواب متانة ومناعة، وبجانبه كانت توجد عدة ثكنات عسكرية للجيش الانكشاري.
5. **باب السردين:** سمي أيضا بباب الديوانة، كان مخصصا للتجارة البحرية وكان يستعمل للصيد البحري.
6. **باب سيدي رمضان:** كان يوجد بالجهة الأعلى من المدينة يمين باب الجديد خلف مسجد سيدي رمضان، إلا أنه يعتبر من الأبواب الثانوية.

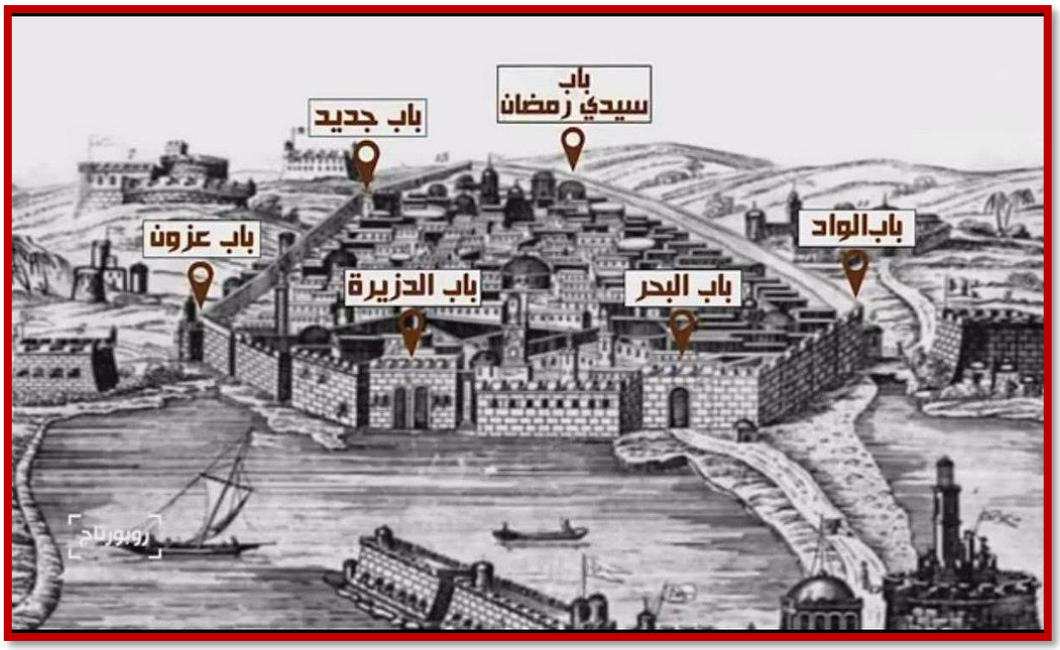
باب
سيدي رمضان
باب جديد
باب عزون
باب الدزيرة
باب البحر
باب الواد

****

ملحق الصور والرسومات

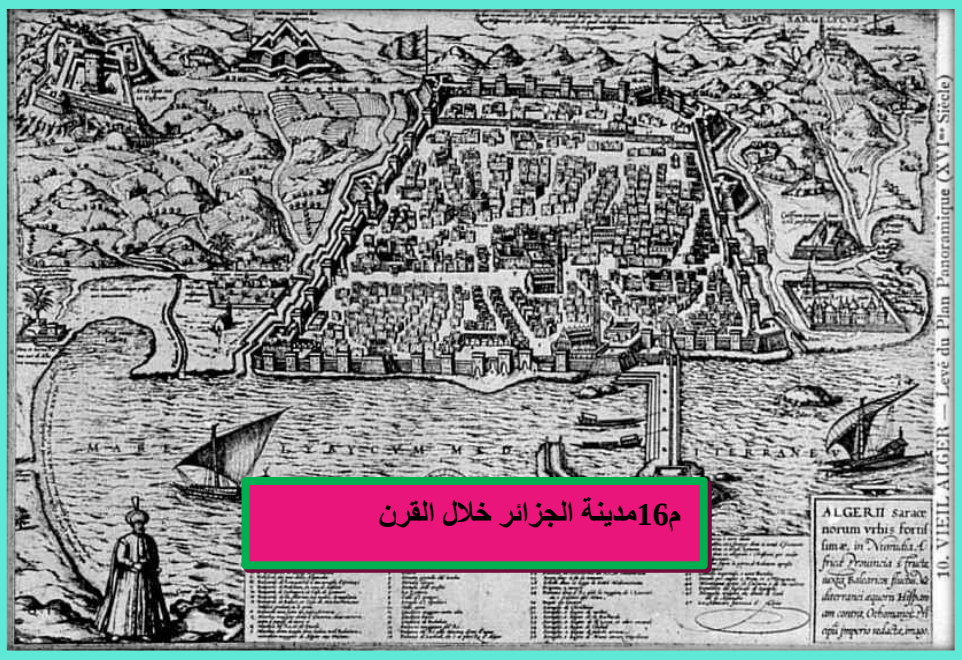

مدينة الجزائر خلال القرن 16م

مدينة الجزائر عام 1680م

قائمة المصادر والمراجع:

أ. علي بوتشيشة

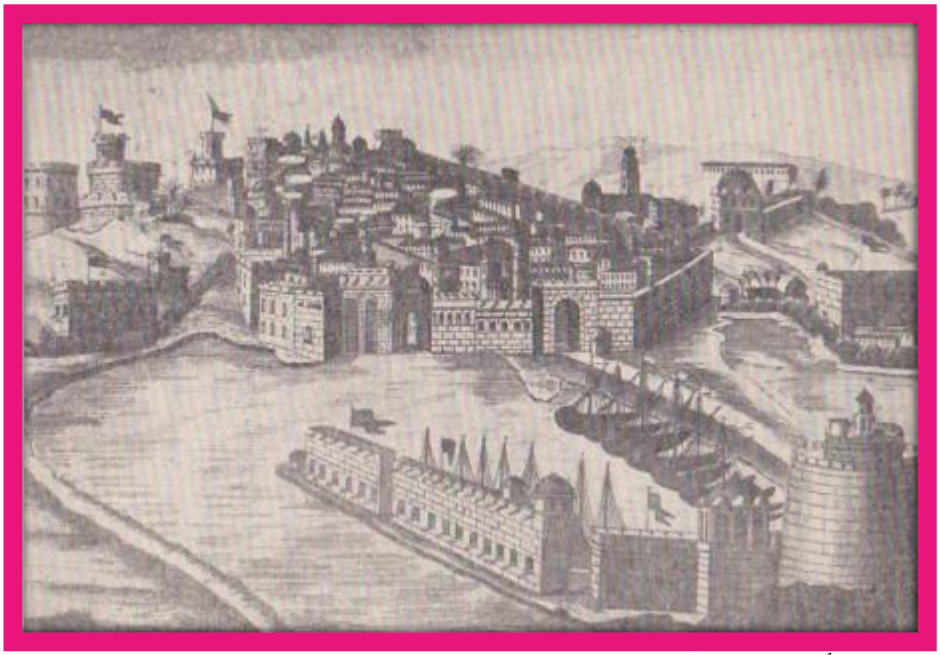

- **الإدريسي، أبو عبد الله الشريف**، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1994م.
- **البكري، أبو عبيد الله**، المغرب في ذكر بلاد أفريقا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك

والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- **الحموي، ياقوت،** معجم البلدان، المجلد الخامس، دار صادر، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م.
- **إبن حوقل، أبو القاسم،** صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.
- **ابن خلدون، عبد الرحمن** ، المقدمة، تحقيق أحمد جاد، دار الغد الجديد، ، القاهرة، الطبعة الأولى، 2007م.
- **خوجة، حمدان،** المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق؛ محمد العربي الزبيري، منشورات، ANEP ، الجزائر، 2005م.

- **الزهار، الحاج أحمد شريف،** مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية، الجزائر، 1980.
- **مارمول، كربخال،** إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988.
- **مالتسان، هاينريش فون** ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الأول ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1976م.
- **مالتسان، هاينريش فون** ، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، الجزء الثاني ترجمة : أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1979م.
- **هابنسترايت، ج. أو.،** رحلة العالم الألماني إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ/1732م)، دار الغرب الإسلامي، تونس، ب.ت.
- **الوزان، حسن بن محمد الفاسي،** وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
- **عبد القادر حليمي،** مدينة الجزائر؛ نشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي الجزائر، الطبعة الأولى، 1973م.
- **جبار، آسيا،** مدن الجزائر في القرن التاسع عشر، منشورات ANEP، الجزائر، ب.ت.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1410هـ/ 1980م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16-20م)، الجزءان الأول والثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
- **سعيدوني، ناصر الدين،** دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **سعيدوني، ناصر الدين والبوعبدلي المهدي،** الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
- **خلاصي، علي،** قصبة الجزائر؛ القلعة وقصر الداي. رسالة دكتوراه، السلك الثالث، جامعة الجزائر، 1982م.

محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2017/2016م.

Esterhazy Walsin, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de charles Gosslin, Paris, 1840 .

Pièsse, louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Hachette, Paris, 1862

Ravéreau, A, Casbah d'Alger et le site créa la ville, Sindbad, Paris, 1989 .

Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, Editions Sindbad, Paris, 1985 .

Reclus Onésime, Sites et Monuments ; Algérie (Alger- Constantine-Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902

Shaw,(Dr), Voyage dans l régence d'Alger, Traduit de l'Anglais par J.Maccarthy, Paris, 1850.

Missoum, Sakina, Alger à l'époque ottomane ; la Médina et la maison traditionnelle, INAS, Alger, 2003 .

أ. علي بوتشيشة

المحاضرة السادسة

التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

التطور العمراني لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني

أصل التسمية:

عرفت مدينة قسنطينة تسميتين مختلفتين عبر التاريخ:

- **التسمية الأولى:** سيرتا (Cirta) وقد ورد هذا الاسم في الكتابات الأثرية والنصوص التاريخية لاسيما اللاتينية، أما أصل الكلمة فهو فينيقي وهو تحريف للاسم الحقيقي وهو كرتن أو كرطن أو كيرطا ومعناه المدينة أو القلعة المنيعة أو المحصنة، غير أن هناك رواية أخرى مفادها أن الكلمة مشتقة من اسم والدة الملك يوبا تسبياس سرث (Thespias Certhe) إلا أن هذه الرواية غير مؤسسة تاريخيا.

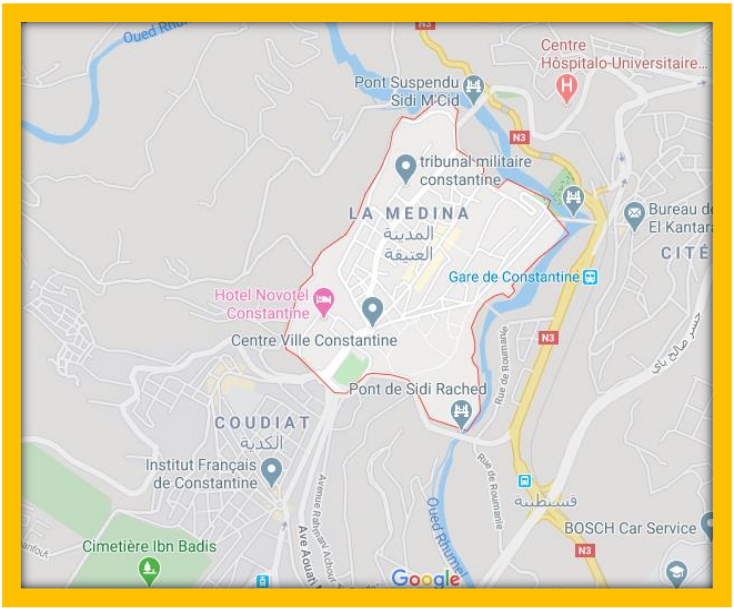

❖ <u>التسمية الثانية:</u> وهي مازالت تعرف بها المدينة إلى اليوم "قسنطينة" وهي تكتب وتنطق بعدة صيغ. حيث كتبها ياقوت الحموي (ت. 626ه) ؛ **قُسَنْطِينَة.** وكتبها أبو الفدا بشكلين؛ **قُسْطِينَة / وقُسُنْطِينَة.** كما كتبها البعض بإضافة "الـ"التعريف: **القسنطينة.** وكتبها آخرون بإضافة الطاء: **قسطنطينية** وبإضافة "الـ"التعريف والطاء: **القسطنطينية.** وهذه التسمية الأخيرة عرفت بها المدينة بعد زيارة الإمبراطور الروماني قسطنطين لها والذي زارها سنة 313م. وذكرت بعض التفسيرات أنه كان للإمبراطور أخت اسمها قسطنطان، فسميت المدينة باسمها، غير أن الكثير كان يسميها "قسطينة" إلى نهاية العهد العثماني. ومن التسميات التي سميت بها المدينة أيضا "قصر الطين" وأيضا "قصر تينا" (ملكة) و"قصر التين".

الموقع الجغرافي لمدينة قسنطينة:

تقع مدينة قسنطينة إلى الشمال الشرقي من الجزائر، تبعد عن البحر بنحو 150 كلم، أما فلكيا فتقع على خط عرض 63.23° شمالا وعلى خط طول 7.35° شرقا.

تتموضع المدينة فوق صخرة وعرة تأخذ شكلا غير منتظم أقرب إلى المستطيل، يحيطها وادي الرمال من ثلاث جهات؛ الجنوبية والشرقية والشمالية بطول 2800م مشكلا خندقا طبيعيا يتراوح عمقه ما بين 35 و200م، ولا ترتبط هذه الصخرة باليابسة إلا من الناحية الغربية وعبر ممر لا يزيد اتساعه على 300م. ترتفع هذه المدينة عن مستوى سطح البحر بـ564م كحد أدنى وبـ664م كحد أقصى.

وقد أشاد الكثير من المؤرخين والرحالة والجغرافيين والكتاب بحصانة المدينة. ومن جهة أخرى تتوفر قسنطينة على مصادر مياه عديدة منها وادي الرمال والمياه الجوفية ومياه الأمطار التي يبلغ متوسطها السنوي ما بين 400 و600 ملم، كما كانت تجلب المياه من خارج المدينة من خلال القناطر. كما تتوفر المدينة على أراض خصبة سواء داخل الاسوار أو على ضفاف وادي الرمال ووادي بومرزوق إضافة إلى المناطق المجاورة.

وتتوفر أيضا على ثروة غابية معتبرة بحكم موقعها ومناخها حيث تنمو بها أشجار الصنوبر والبلوط والزيتون كما ينمو في جنوبها الكثير من النباتات على غرار الحلفاء والسدرة والشيح والطرفة والديس وغيرها. وقد اشتهرت قسنطينة باعتدال مناخها وجوده هواءها.

تأسيس ونشأة مدينة قسنطينة:

يرجع أول استقرار بشري بالمدينة إلى عصور ما قبل التاريخ، إلا أن تأسيسها يعود للتجار الفينيقيين الذين قصدوها وفضلوا الاستقرار بها رغم بعدها عن الساحل، ومن بعدهم تبعت لمملكة الماسيل النوميدية ما بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، لتزدهر وتنمو أكثر في عهد ماسينيسا الذي وحد مملكتي الماسيل والماسيسيل وأسس المملكة النوميدية (203 -46 ق.م) واتخذ من قسنطينة مملكة له.

في سنة 46 ق.م احتلها الرومان وبنوا بها الكثير من المباني والمنشآت، وفي سنة 455م استوطنها الوندال ثم خلفهم البيزنطيون سنة 539م.

فتحت قسنطينة في عهد القائد أبي المهاجر دينار (55-62ه) وتداول على حكمها الكثير من الدول إلا أنها لم تحظ بأهمية كبرى إلا خلال الدولة الحمادية التي اتخذتها كإحدى المدن الرئيسية وربما نالت المرتبة الثانية بعد عاصمتهم بجاية من حيث الأهمية. أما في العهد الموحدي فكانت ذات أهمية ثانوية كغيرها من المدن، لتسترجع مكانتها في العهد الحفصي.

التواجد العثماني بقسنطينة:

لا يعرف على وجه الدقة دخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة حيث وقع اختلاف كبير بين المؤرخين في تحديد هذا الدخول، إلا أنه من المؤكد أن العثمانيين استقر بهم الأمر بقسنطينة ابتداء من سنة 1567م أين عُينت المدينة كعاصمة لبايليك الشرق، وكان أول باي حكمها هو رمضان تشولاق سنة 1567م، وقد تداول على حكمها 46 بايا كان آخرهم أحمد باي والذي احتلت المدينة في آخر فترة حكمه سنة 1837م.

التطور العمراني للمدينة خلال العهد العثماني:

أصبحت قسنطينة خلال العهد العثماني عاصمة لإقليم الشرق الجزائري، وخلال هذا العصر شهدت المدينة أزهى عصورها، فقد توسعت تجارتها كما توسع عمرانها أكثر من أي وقت مضى، وتحولت إلى واحدة من أهم المدن ببلاد المغرب، فبعد أن كانت محصورة داخل أسوارها صار لها ربض بكدية عاتي والذي بلغ به عدد الجوامع إلى خمسة والمساجد إلى نحو سبعين مسجدا إضافة إلى ثلاثة عشر مدرسة. وبعد أن كان لها ثلاثة أبواب والمتمثلة في باب القنطرة في الجهة الشمالية الشرقية وباب الجابية وباب الوادي في الناحية الجنوبية؛ أضيف لها باب رابع خلال فترة لاحقة من الحكم العثماني يقع بالقرب من باب الوادي يسمى باب الجديد، وكان في الأصل بابا صغيرا ثم وُسع.

وكان عدد السكان قبل الاحتلال يتراوح ما بين 25 و30 ألف نسمة من عرب وحضر ويهود، وبها نحو 1700 مسكنا مغطى بالقرميد.

وإذا كان عدد المساجد الجامعة في العهد الحفصي لا يتعدى جامعين؛ الجامع الكبير وجامع القصبة، فقد اصبحت خلال الفترة العثمانية ستة جوامع، وهي جامع الصوف وجامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني، وبعد أن كانت عدد المساجد (مساجد الجمعة

والصلوات الخمسة) تعد على أصابع اليد الواحدة صارت تقدر بالعشرات، قدرها الكثير بنحو 70 مسجدا، وحسب دفتر صالح باي للأوقاف عدت بـ75 داخل المدينة وخمسة خارجها، لكن حسب الإحصائيات الأخيرة فإن عددها وصل إلى 90 مسجدا منها خمسة خارج أسوارها بربض كدية عاتي. غير أن هذه المساجد تعرضت للهدم خلال عهد الاحتلال وبعضها تعرض إلى تغيير جذري مس أصالتها المعمارية والفنية.

أما فيما يخص المدارس فقد ورد في دفتر أوقاف صالح باي خمسة مدارس؛ مدرسة سيدي الكتاني ومدرسة جامع سوق الغزل ومدرسة سيدي أبي قصيعة، وفي خارج الأسوار نجد مدرسة سيدي بومصيبة ومدرسة سيدي هليوف، وتضيف النصوص التاريخية والكتابات الأثرية مدرسة الجامع الأخضر.

وكان يوجد إلى جانب المدارس العديد من الكتاتيب التي كانت بمثابة المدارس الابتدائية (90 كتاب)، كما ذكرت المصادر وجود العديد من الزوايا بلغ عددها العشرة أو يزيد.

بالإضافة إلى هذه المنشآت فقد ضمت المدينة عدة بنايات مدنية وعسكرية؛ كالقصبة ودار الباي أو دار الإمارة وقصر أحمد باي ودار الخليفة إضافة إلى دور بعض البايات.

كما اشتملت المدينة داخل أسوارها حسب ميرسي (Mercier) ثلاثة فنادق وعشرة حمامات وخمس مخابز و24 سوقا ومقهى، إضافة إلى 21 ساباطا وثلاث رحبات و27 مطحنة للحبوب، ومن جهة أخرى كانت المدينة تتخللها أربعة شوارع رئيسية تتفرع عنها طرقا وأزقة ثانوية، وكان سكانها يتوزعون على أربعة أحياء كبيرة تتمثل فيما يلي:

- **حي القصبة** يقع في الزاوية الشمالية الشرقية.
- **حي الطابية** يقع في الزاوية الشمالية الغربية.
- **حي باب القنطرة** يقع في الركن الجنوب الشرقي
- **حي باب الجابية** ويقع في الجهة الجنوبية الغربية.

علما أن هذه الاحياء الرئيسية كانت تنقسم إلى أحياء أصغر.

ملحق الصور والمخططات

المدينة العتيقة

جسر القنطرة

صورة جوية للمدينة العتيقة

باب القنطرة

القصبة

التركيبة العمرانية لمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني:

أولا- مقر الحكم:

سُمي مقر الحكم بمدينة قسنطينة "دار الباي" وهي نفسها دار الإمارة، وقد ذكرت هذه الدار في الكثير من المصادر.

وكانت المدينة تضم خلال العهد الحفصي قصبة تقع في أعلى جزء منها بالجهة الشمالية الشرقية، وبهما كان الأمراء والولاة يمارسون إدارتهم للمدينة، ولكن في العهد العثماني كان مقر الحكم بدار الباي والتي لا يعرف متى بُنيت.

ومهما يكن فإن دار الحكم يرجع بناءها إلى ما قبل عهد صالح باي (1771-1792م) واستمرت كذلك إلى غاية بناء أحمد باي لقصره ما بين سنتي 1826 و1835م والذي صيره مقرا لإقامته ومقرا للحكم، وقد كانت دار الإمارة تقع خارج القصبة وبعيدة عنها في الطرف الشمالي من الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب القنطرة في مكان وسط بين جامع سوق الغزل والجامع الكبير، كما كانت تتوسط الحيين الكبيرين؛ حي الطابية وحي باب الجابية. أما قصر الباي فكان بعيدا عن مركز المدينة وقريبا من القصبة بجوار جامع سوق الغزل وعلى غرار دار الباي وقصر الباي فإن دور البايات كانت تقع في المناطق الآهلة.

ثانيا-المساجد الجامعة:

تتوفر قسنطينة على عديد المساجد الجامعة، منها الجامع الكبير الذي يعود إلى الفترة الحمادية، كما بنى الحفصيون جامعا آخر بالقصبة وهو الجامع الأعظم لتشهد خلال العهد العثماني بناء أربعة جوامع أخرى، هي جامع رحبة الصوف وجامع سوق الغزل والجامع الأخضر وجامع سيدي الكتاني. وإلى جانب المساجد الجامعة ضمت المدينة مساجد للصلوات الخمس قدر عددها بنحو 85 مسجدا تتوزع على أحياء المدينة، تقع معظمها بحي باب الجابية وحي القنطرة وحي الطابية.

ثالثا-الأحياء السكنية:

كانت قسنطينة تظم أربعة أحياء كبيرة وهي بدورها تنقسم إلى أحياء أصغر :

1-حي القصبة: يقع بالناحية الشمالية الشرقية يمثل الحي العسكري وهو مخصص للجند ولسكن وجهاء المدينة من الأتراك على الخصوص، وكان يضم هذا الحي المباني الحكومية ودور بعض الدايات والقادة الكبار، وكان يتشكل هذا الحي من حيين صغيرين هما : محلة العمامرة وحومة قديدة.

2-حي الطابية: يقع في الشمال الغربي من المدينة يضم القصر والمسجد الرئيسي ويتألف من خمس حومات؛ الطابية الكبيرة والطابية البرانية وحومة مصاصة وحومة الموقف وحومة صوراي.

3- حي القنطرة: يقع هذا الحي في الجنوب الشرقي وقد أخذ اسمه نسبة إلى القنطرة التي تتقدم الباب المفضي إلى خارج المدينة، وهو ينحصر ما بين حي القصبة وحي باب الجابية، وهو الحي الذي ترتكز فيه الفئات الميسورة من سكان المدينة وحارة اليهود ويتكون من خمسة أحياء: حي ميلة الصغيرة وحومة سيدي بومعزة وحومة سيدي الجليس والحارة الحمراء وحومة الشارع.

4- حي باب الجابية: يشغل الركن الجنوبي الغربي من المدينة، وهو يعد أكبر أحياءها مخصص للفئات المتوسطة والفقيرة من السكان ويتكون هو الآخر من خمس حومات: حومة سيدي راشد وحومة بير مناحل وحومة الطبالة وحومة الشط وحومة البطحا. وقد تحكم في توزيع السكان العديد من العوامل على غرار الانتساب العرقي والجغرافي والديني والاقتصادي. وكما رأينا في مدينة الجزائر فإن كل حي بقسنطينة ضم مسجدا إلى جانب المرافق العمومية الضرورية كالسويقة والحوانيت والحمام والفرن وغيرها، إضافة إلى الكتاتيب والزوايا.

رابعا-الرحاب:

ضمت مدينة قسنطينة أربع رحاب هي:

- **رحبة الجمال :** تقع في الجهة الغربية من المدينة وكانت تسمى من قبل برحبة بني سعيد.
- **رحبة الصوف:** تقع في الجهة الشرقية من المدينة ينفتح عليها الجامع المسمى باسمها.
- **رحبة باب القنطرة:** تقع غير بعيدة عن باب القنطرة.
- **رحبة البلد:** كانت تقع قريبا جدا من باب الوادي وباب الجديد.

خامسا-الشوارع والأزقة:

عادة ما تتنوع الشوارع والأزقة في المدن الاسلامية إلى نوعين طريق عام أو رئيسي وطريق خاص أو ثانوي:

أ-الشوارع الرئيسية:

هي التي تربط بين أحياء المدينة ومعالمها المعمارية الرئيسية وقد تعددت مسمياتها منها الشارع الأعظم والطريق النافذ. أما مدينة قسنطينة فكانت بها أربعة شوارع رئيسية.

- **الشارع الأول:** يمتد من باب الجديد مارا على دار الخليفة وصولا إلى باب القصبة وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الثاني:** يمتد أيضا من باب الجديد وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الثالث:** يعتبر أهم شوارع المدينة والشريان الرئيسي للتجارة، فأغلب الأسواق تنفتح عليه، يمتد من باب الوادي وينتهي عند باب القنطرة.
- **الشارع الرابع:** يعتبر هو الآخر أحد أهم الشوارع، يربط بين باب الجابية وباب القنطرة، تنفتح عليه أحد أهم السويقات وهي سويقة باب الجابية.

ب-الشوارع الثانوية :

سميت بعدة تسميات من بينها الزقاق والزنقة، والشوارع الثانوية هي الطرق التي تتفرع عن الشوارع الرئيسية وهي أقل عرضا منها تتميز بالتواءها وانكسارها، تتفرع عنها هي الأخرى الدروب. ومن بين الشوارع الثانوية بقسنطينة نذكر:

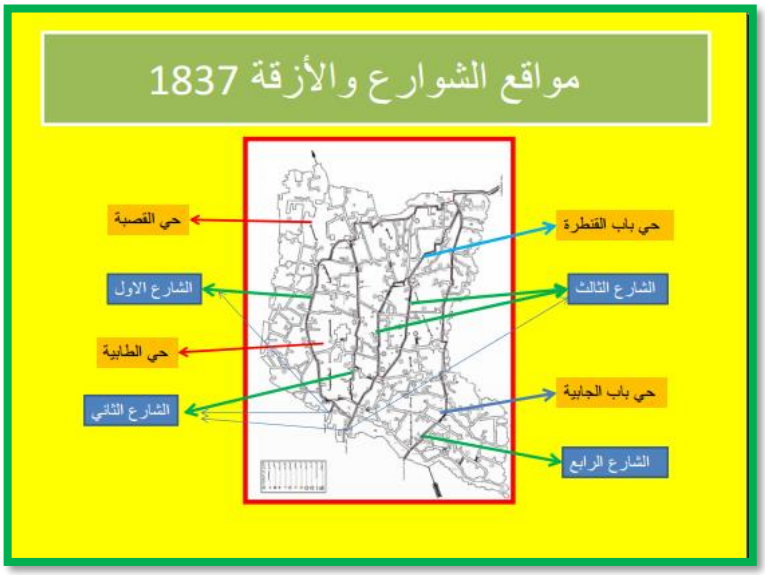

- ✓ **دروج باب الجابية:** يقع في حي باب الجابية وهو يربط بين رحبة الجمال بالشارع الرئيسي الرابط بين باب الجابية وباب القنطرة، ويظهر من اسمه أنه عبارة عن درج أو سلم.
- ✓ **زنقة بن وذينة:** عبارة عن طريق غير نافذ يتفرع عن طريق دروج باب الجابية، أخذ اسمه عن دار يفضي إليها وهي دار بن وذينة.
- ✓ **زنقة العمامرة:** تقع في حي باب الجابية وهي غير نافذة.
- ✓ **زنقة سيدي عفان:** هي عبارة عن طريق نافذ يقع بحي باب الجابية سُمي كذلك لوقوع مسجد سيدي عفان على جانبه الغربي.
- ✓ **زقاق الميليين:** طريق نافذ تتفرع عنه طرقا أصغر غير نافذة، يتفرع عن أحد الشوارع الرئيسية (باب الجابية وباب القنطرة) ربما سُمي بهذا الاسم نسبة إلى أصل السكان الذين كانوا به وهم من ميلة.
- ✓ **زنقة مقايس:** طريق غير نافذ يتفرع عن الشطر الثاني من الطريق الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب القنطرة عند التقاء السوق الكبير برحبة الصوف.

ومما يلاحظ أن شوارع وطرق قسنطينة كانت تتجه من الجنوب نحو الشمال بشكل شبه متوازي لتتجه شرقا ناحية باب القنطرة الذي يقع في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة وهذا الاتجاه يتناسب ومناخ قسنطينة من حيث اتجاه الرياح وأيضا من حيث اتجاه حركة الشمس.

أما الطرق الثانوية التي تأخذ اتجاه شرق-غرب فتتخللها الكثير من الانحناءات والالتواءات والانكسارات فضلا كونها تتسم بالضيق على اعتبارها طرقا ثانوية، علما أن مدينة قسنطينة كثيرا ما استعملت السباطات، وقد وصل عددها إلى 21 سباطا، والتي استخدمت لعدة أغراض منها المناخي وأيضا لاستغلالها لأغراض خاصة كالسكن والمرور من دار لأخرى.

سادسا-الأسواق:

1- سوق التجار: يقع في قلب المدينة، يتكون من عدد كبير من الحوانيت التي تنفتح على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الوادي وباب القنطرة.

2- سوق العصر: يقع قريبا من القصبة أنشأه صالح باي به عدة حوانيت وفندق. وقد كان يُسمى في أول تشييده على زمن صالح باي بسوق الجمعة ثم عرف بسوق السلاح وبسوق العصر الذي اشتهر به إلى وقتنا الحاضر.

3- سوق الجمعة: يقع في الطرف الشمالي من المدينة بين حي القصبة وسوق العصر وهو يتربع على مساحة كبيرة.

4- سوق الغزْل: ينفتح على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وسوق العصر وسوق الجمعة.

كما يوجد أسواق أخرى منها السوق الكبير وسوق الخلق وسوق الموقف بالإضافة إلى السويقات.

الأسواق المتخصصة:

كان بمدينة قسنطينة عدة أسواق متخصصة وهي في أغلبها تتوزع على الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب القنطرة وتتمركز خاصة في سوق التجار ومن أهم هذه الأسواق:

سوق العطارين	سوق الحدادين	سوق العسل
سوق السراجين	سوق الخضارين	سوق القمح
سوق الصباغين	سوق الجزارين	سوق الجلد
سوق الصاغة	سوق الأقمشة	سوق الخبز

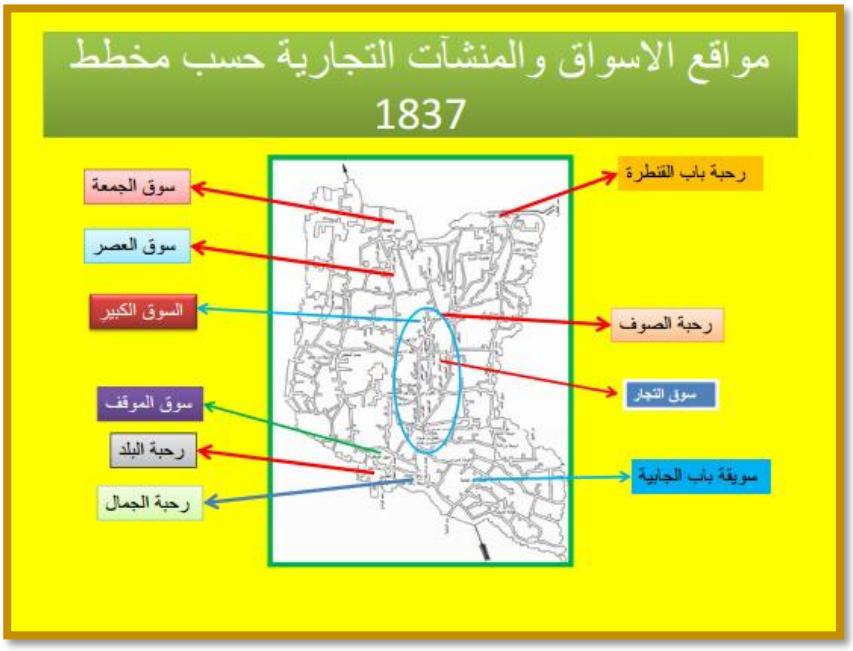
مواقع الاسواق والمنشآت التجارية حسب مخطط 1837
سوق الجمعة
سوق العصر
السوق الكبير
سوق الموقف
رحبة البلد
رحبة الجمال
رحبة باب القنطرة
رحبة الصوف
سوق التجار
سويقة باب الجابية

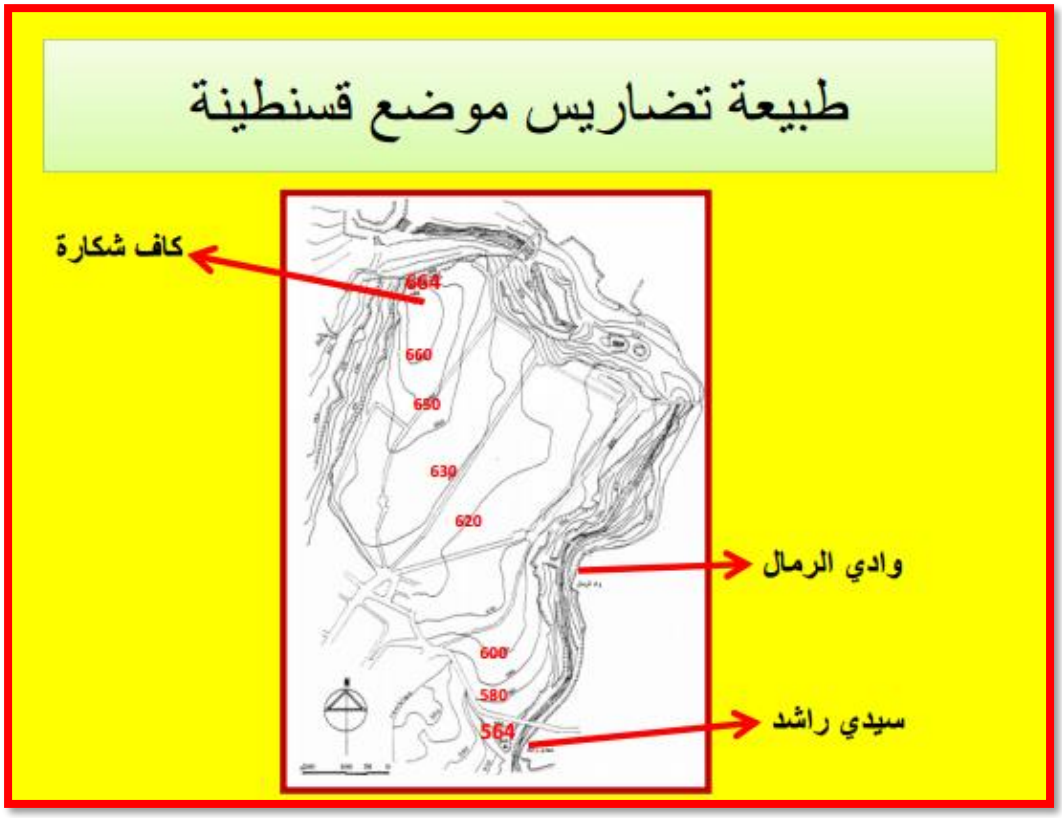
طبيعة تضاريس موضع قسنطينة
كاف شكارة
664
660
650
630
620
600
580
564
وادي الرمال
سيدي راشد

سابعا-التحصينات العسكرية:

1-السور: رغم تحصينها القوي إلا أن قسنطينة أحيطت بسور وصل ارتفاعه إلى 10 أمتار في الجهة الغربية وأقل ارتفاعا في باقي الجهات.

2-أبواب المدينة: لقد كان للمدينة أربعة أبواب رئيسية وآخر ثانوي وهي باب الجديد وباب الوادي وباب الجابية وباب القنطرة وهو المدخل الوحيد في الناحية الشرقية.

3-الأبراج: كانت أسوار قسنطينة مدعمة بعدة أبراج وبطاريات عرف باسم "السوس" يقع قريبا من الزاوية الشمالية الغربية أعلى باب الجديد وكانت هذه البطاريات مدعمة بمدافع.

4-القصبة: كانت قصبة المدينة تقع بالناحية الشمالية الغربية في موضع أعلى من أي نقطة على ارتفاع 631م بحيث تشرف على جميع جهات المدينة وهي تتشكل من بنايات يسكنها الجند والخاصة من الأتراك وبها سجن، وهي أكبر مساحة من قصبة الجزائر، بها بطارية مجهزة بـ11 مدفعا، يعود بناءها الى العهد الحفصي على الأرجح.

ثامنا- الربض:

لقسنطينة ربض واحد هو كدية عاتي، كان يقع في الجهة الجنوبية الغربية ويبعد حوالي 1كم من أسوار المدينة، يشكل مساحة 900 X 300 خطوة، كان به خمسة مساجد ومدرستين إضافة إلى عدد من المساكن والأسواق والفنادق والصناعات.

ملحق المخططات

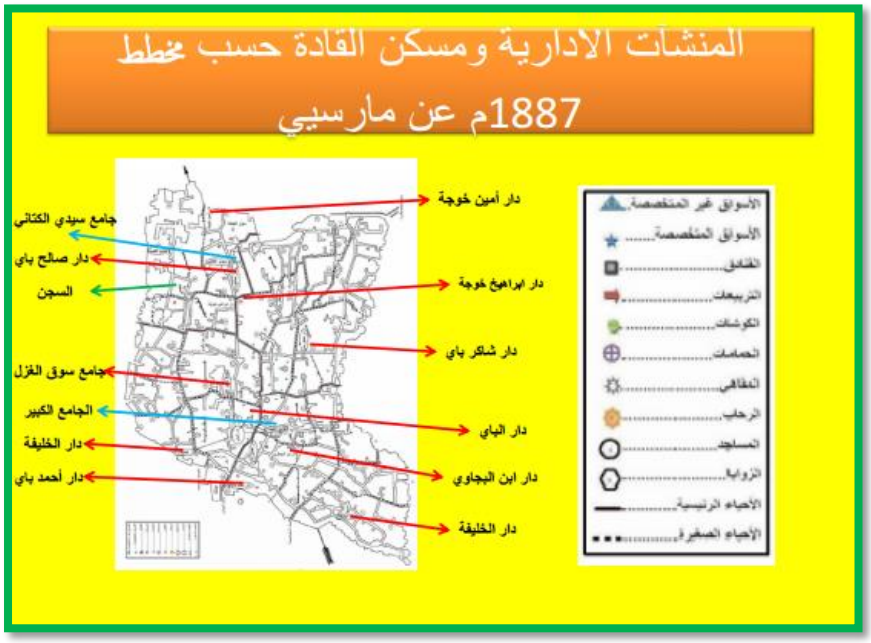

ملحق الصور

رحبة الجمال

باب الجابية

باب القنطرة

زقاق

زقاق

قائمة المصادر والمراجع:

- محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006م.
- عبد القادر دحدوح، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الآثار، 2009/2010م.
- محمد الهادي لعروق، مدينة قسنطينة ؛ دراسة في جغؤافية العمران، ديوان المطبوعات الجامعيةن الجزائر، 1984م.
- عبد القادر بوباية، "مدينة قسنطينة من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة العرب (القرن 5-10هـ)" مجلة عصور الجديدة، العدد 05، 2012م.
- كريمة فليفلة، مجمع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الأثار، 2019/2020م.
- عبد الحميد زوزو، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر؛ 1830-1900، موفم للنشر، 2010م.
- كريمة فليفلة، مجمع سيدي الكتاني بمدينة قسنطينةخلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر2، معهد الأثار، 2019/2020م.
- عبد العزيز فيلالي، مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دار البعث، قسنطينة، 2002م
-محمد المهدي بن علي شغيب، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980م
- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر(العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م
- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر (16-20م)ن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- رشيد بورويبة، قسنطينة، سلسلة فن وثقافة، وزارة الاعلام والثقافة، الجزائر، 1980م.
- محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2017/2016م.

- E. Mercier, « Constantine avant la conquête française 1837 », In Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de Constantine, 1878.
- L. Feraud, « Les anciens établissements religieux musulmans de Constantine », In R.A , 1868.

- Bernard Pagand, La Madina de Constantine (Algérie), Etudes méditerranéennes, C.I.E.M., Université de Poitier, 1989.
- Imane Fantazi, Le management des opérations de conservation du patrimoine bâti en Algérie dans un contexte événementiel ; cas de la vielle ville de Constantine, Doctorat L.M.D, Université Salah Boubnider, Constantine, 2020-2021.
- Léonce Joleaud, Les origine de la ville de Constantine (Algérie), In B.S.G.A, 1918.
- **Reclus Onésime**, Sites et Monuments ; Algérie (Alger-Constantine- Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902

المحاضرة السابعة

التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني

أولا- موقع مدينة وهران:

تقع مدينة وهران إلى الشمال الغربي من الجزائر، تطل شمالا على الخليج المسمى باسمها بالبحر المتوسط، والذي يحده رأس المرسى الكبير غربا ورأس كريشتل (قسطيلية) شرقا، يحدها من الغرب جبل مرجاجو وهضبة مولاي عبد القادر، ومن الشرق الجروف الصخرية وهضبة بئر الجير، ومن الجنوب السبخة الكبرى.

أما المدينة التاريخية (الاسلامية) فتقع على تلتين يفصل بينهما وادي الرّحِي، على السفح الشرقي لجبل مَرجاجو، ترتفع قليلا عن مستوى سطح البحر، ويزيد هذا الارتفاع بصورة أوضح بمجرد تخطي منطقة الميناء وكلما توجهنا ناحية الجنوب أو الجنوب الغربي وأيضا الجنوب الشرقي، يتراوح هذا الارتفاع ما بين بضعة أمتار و150م، أدناه عند حي البحرية

وأقصاه عند السور الغربي حيث القصبة، وهي تأخذ شكلا اقرب إلى المثلث حيث قاعدته ساحل البحر.

وأما فلكيا فتقع وهران على خط عرض '35.42° شمالا وعلى خط طول 0.39° غربا، ولقد توسعت المدينة منذ نشأتها الأولى وامتدت مبانيها خارج الأسوار لاسيما باتجاه الشمال والشمال الغربي وباتجاه الشرق أيضا في فترة متأخرة، لتعرف أقصى امتداد لها عقب الفتح الثاني لها وقبيل الاحتلال، وتحوز وهران على مساحة قدرت ما بين 60 و70 هكتارا.

وعموما فإن هذا الموقع الذي تحتله وهران بما في ذلك المرسى الكبير يعد إستراتيجيا، سواء من الناحية البحرية؛ وذلك بما يوفره من امتيازات عسكرية وتجارية، أو من الناحية البرية حيث كانت الملتقى الرئيسي للعديد من الطرق القادمة من تلمسان أو معسكر أو سيدي بلعباس أو وجدة أو حتى تلك القادمة من عمق الصحراء.

ثانيا- أصل التسمية :

ذُكر إسم وَهْرانَ لأول مرة في المصادر التاريخية من قبل الجغرافي ابن حوقل المتوفى عام 371هـ حيث قال : " ... ومنها إلى مدينة وهران مَراس لا مدن لها مشهورة...". ثم أتى على ذكرها من بعده البكري الذي توفى عام 487هـ، وهذا في مؤلفه: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب الذي قال : "... ومدينة وهران حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين ولها مسجد جامع".

أما عن كيفية نطقها فإن أغلب المؤرخين ينطقونها بفتح الواو وسكون الهاء، وفي هذا الصدد يقول محمد بن يوسف الزياني في كتابه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ما يلي : " اعلم أن وَهْرَانَ بفتح الواو كما لابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان وأنباء الزمان والحافظ أبي راس في كتابه عجائب الأسفار ولطائف الأخبار والخبر المغرب وروضة السلوان وغيرهم لا يكسرها وغلط من كسرها".

ولقد اختلف حول أصل تسمية المدينة بوهران اختلافا بيّنا غير أن ما نكاد نجزم به أن لفظة "وهران" كانت معروفة لدى القبائل المجاورة لتلك المنطقة والذين ينتمون لقبيلة مغراوة قبل تأسيس المدينة، ونعتقد أنه اسم لأحد الوديان التي تعبرها.

ومهما يكن فإن الاختلاف لا يزال قائما حول معنى الكلمة الذي لا يمكننا الجزم فيه، وإن كنا نميل إلى الرأي الشائع والقائل بأن لفظة وهران معناها "الأسود" أو "الأسدان". خصوصا وأن منطقة وهران - على غرار العديد من مناطق الجزائر- عرفت بتواجد الأسود فيها والتي لم تنقرض إلا خلال فترة الاحتلال الفرنسي، حيث كانت السلطات حينها تشجع المستوطنين وغيرهم بإغراءات مالية على قتل الحيوانات المتوحشة وفي مقدمتها الأسود.

ثالثا- تأسيس مدينة وهران :

يرجع تأسيس مدينة وهران إلى عام 290هـ/903م، من قبل بحارة أندلسيين على الأرجح بقيادة محمد بن عون ومحمد بن عبدون، كانوا ينتجعون مرسى المدينة، بموافقة قبيلتي نفزة

وبني مسقن المغراويتين المجاورتين للمدينة والمنحدرتين من قبيلة أزداجة البربرية، وهذا في عهد الخليفة الأموي الأندلسي أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن.

ونذكر أن البحارة الأندلسيين كثيرا ما كانوا يترددون على سواحل المغرب الأوسط لاسيما تلك القريبة من الأندلس، فإليهم يعود الفضل في بناء مدينة تنس في ذات الفترة تقريبا التي بنيت خلالها وهران وهي سنة 262هـ.

رابعا- أهم المحطات التاريخية لمدينة وهران:

مما لا شك فيه أن منطقة وهران بصفة عامة عرفت نشاطا بشريا منذ عصور غابرة تمتد إلى ما قبل التاريخ، وهذا ما تؤكده الشواهد المادية الكثيرة من كهوف ومغارات إضافة إلى أدوات حجرية تمّ الكشف عنها خلال الحفريات الأثرية التي تمّت صيف عام 1892م من قبل فرانسوا دومارك (F.Doumerque) وبول بلاري (P.Pallary) داخل بعض تلك المغارات، وقد وضعت بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران.

في غضون الفترة ما بين القرنين الخامس والثاني ما قبل الميلاد شهدت المنطقة توافد الفينيقيين إليها والذين اتخذوا منها محطات تجارية على غرار مدينة تنس، حيث اختاروا خليج مداغ مركزا لاستقرارهم، إلا أنه تم العثور على مغارات تعود للفينيقيين في القصر الجديد قريبا من قصر الباي وعلى بعد عشرات الأمتار من مرسى وهران.

وإن كانت الشواهد الأثرية تؤكد التواجد الفينيقي بالمنطقة وقريبا من المكان الذي شيدت به المدينة، فإن الأمر يختلف بالنسبة للرومان الذين فضلوا الاستقرار في المدينة المسماة حاليا بطيوة والتي تقع إلى الشرق من وهران على مسافة تقدر بنحو 40 كلم، وبها بنوا الميناء الذي أسموه بالأعظم (Portus Magnus).

والذي نكاد نجزم به أن مدينة وهران التي بنيت على ربوة من الأرض تقع على الضفة اليسرى من وادي الرحي في عام 290هـ، لم تكن معروفة بهذا الاسم قبل تعميرها من قبل المسلمين، وليس في موقعها ما يشير إلى أنها كانت آهلة من قبل بالسكان، كما لم تشهد استقرارا بشريا سابقا لتاريخ بناءها، وهذا ما تثبته الشواهد الأثرية والتي تعود فحسب إلى الفترات الإسلامية وفترة الاحتلال الاسباني ثم فترة الاحتلال الفرنسي.

1- وهران خلال العصر الوسيط :

لم تَنْعَم مدينة وهران بُعيد نشأتها طويلا بالأمن والاستقرار؛ إذ صارت بؤرة للتوتر والاضطرابات ومحل نزاع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في بلاد المغرب - الذين أقاموا دولتهم عام 296هـ/909م- واتخذوا من المهدية بتونس عاصمة للخلافة، حيث سعوا حثيثا للسيطرة على مختلف مناطق وأقاليم المغرب الأوسط ومن بينها وهران، بمؤازرة ودعم من حلفائهم الزيريين، واستمر هذا الصراع على وهران عقودا طويلة جدا.

ومع نهاية القرن الخامس الهجري وبالضبط في سنة 473هـ/1081م انتزع المرابطون - بقيادة يوسف بن تاشفين- مدينة وهران من أيدي الخزريين المغراويين ومحى أثرهم من جميع

بلاد المغرب. وقد عرفت المدينة خلال تلك الفترة شهرة معتبرة لأهمية ميناءها من جهة ولقوة سلطتها المركزية بتلمسان التي أصبحت بمثابة العاصمة الإقليمية لبلاد المغرب الأوسط من جهة ثانية.

إلا أن هذا الاستقرار الذي عرفته بلاد المغرب عامة ووهران خاصة لم يدم طويلا، إذ في سنة 537هـ/1143 يتولى حكم المرابطين تاشفين بن علي الذي في عهده يأفل حكم هذه الدولة الكبيرة، ثم في سنة 539هـ/1145م يستولي عبد المؤمن بن علي الموحدي على وهران ويقضي على آخر حكام المرابطين.

خلال حكم الموحدين شهدت وهران فترة ازدهار واستقرار كبيرة وغدت نقطة ارتكاز عسكرية وعاصمة إقليمية انطلقت منها عديد الحملات العسكرية لفتح ما تبقى من مدن بلاد المغرب على غرار قسنطينة وتونس، كما تحول ميناء المدينة وميناء المرسى الكبير - الذي صار واحدا من أكبر موانئ بلاد المغرب- إلى ورشتين لصناعة السفن، وساهما في صناعة ما يربو عن 100 سفينة - إلى جانب ميناء هنين- بأمر من الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي العام 556هـ/1162.

إثر انهيار الدولة الموحدية؛ خضعت وهران للدولة الزيانية الناشئة، وكان ذلك عام 627هـ/1230م، إذ حوصرت المدينة من قبل يغمراسن بن زيان بعد رفض واليها الخضوع للزيانيين، وبعد مقاومة شديدة اضطر الوهرانيون إلى الاستسلام وقبول الوالي الزياني المعين كحاكم جديد للمدينة.

في العام 629هـ/ 1232م رضخت المدينة للسيطرة الحفصية بزعامة أميرها أبي زكريا الذي أخضع تلمسان لحكمه أيضا، وظلت كذلك إلى أن فتحها يغمراسن العام 686هـ/ 1287م.

وخلال حصار تلمسان من طرف السلطان المريني أبي يعقوب يوسف الناصر كلّف هذا الأخير أحد قادته باحتلال وهران، وبعد حصار ليس بالطويل تمكن من بسط سيطرته عليها. ثم تواصلت سيطرة المرينيين على المدينة بصورة متقطعة خلال العهود التالية.

ومما يمكن تأكيده أن المدينة لم تعرف استقرارا دائما عقب سقوط الدولة الموحدية، فأحيانا تناوب في السيطرة عليها سلاطين الدويلات الثلاث الزيانية والمرينية والحفصية لتسع مرات متتالية وخلال مدة لا تتعدى النصف قرن.

2- وهران خلال العصر الحديث :

أ- الاحتلال الاسباني :

لقد خضعت مدينة وهران للاحتلال الإسباني مدة طويلة جدا من الزمن بلغت 260 سنة مر على فترتين امدت الأولى ما بين سنتي 915هـ/1509م و1119هـ/1708م، بينما امتدت الثانية ما بين سنتي 1144هـ/1732م و1206هـ/1792م، وقد تخلل الفترتين الحكم العثماني للمدينة بقيادة الباي مصطفى المسراتي.

فعقب سقوط دولة المسلمين في الأندلس سنة 897هـ/ 1492م شرعت اسبانيا في عملية مركزة ومدروسة لاحتلال سواحل المغرب الإسلامي لدوافع دينية وسياسية وعسكرية واقتصادية، وقد أدت هذه الحملة العسكرية إلى احتلال العديد من المدن الساحلية للمغرب الأوسط ومن بينها مدينة وهران وكان ذلك بتاريخ 915هـ/1509م.

ب – التواجد العثماني بمدينة وهران:

لقد حكمت وهران من قبل العثمانيين لمدة ليست بالطويلة بلغت نحو 63 عاما فقط، وتمت على فترتين اثنتين، كانت الأولى حين تحريرها من قبل الباي مصطفى المسراتي العام 1119هـ/1708م، حيث اتخذت المدينة من حينه عاصمة لبايليك الغرب بدلا من معسكر.

أما الفترة الثانية من الحكم العثماني للمدينة فهي التي أعقبت تحريرها الثاني والنهائي العام 1206هـ/1792م من قبل الباي محمد الكبير، والذي اتخذ وهران عاصمة لبايليكه عوض معسكر، عرفت خلال فترة حكمه التي دامت إلى غاية 1213هـ/1799م الأمن والاستقرار والرخاء، وقد حاول أن يعيد لها مجدها بعد أن كانت عبارة عن قلعة محصنة شبه مغلقة، وبذل جهودا معتبرة لتعميرها وإصلاح ما تخرب منها، واستقدم إليها السكان من كل مكان؛ من معسكر ومازونة ومستغانم وتلمسان والمدية وملیانة وغيرها.

ثم تداول على الحكم بعد وفاة الباي محمد الكبير العام 1213هـ/ 1799م بايات لم يكونوا في مستوى المسؤولية التي ألقيت على عاتقهم، فشهدت وهران وبايليك الغرب عامة -خلال فترة حكمهم- الكثير من الثورات والقلاقل والأزمات .

ج - احتلال الفرنسيين لوهران ونهاية الحكم العثماني:

تعد وهران واحدة من المدن الجزائرية القليلة التي دخلتها قوات الاحتلال من دون مقاومة تذكر، وذلك رغم تحصيناتها العسكرية القوية التي تعود إلى الفترات الإسلامية المتعاقبة وأيضا إلى فترة الاحتلال الاسباني، وقد تم احتلال المدينة بصفة نهائية تقريبا مع نهاية سنة 1831م/جمادى الثانية 1247هـ عقب فرض الحماية التونسية عليها والتي لم تدم طويلا.

التطور العمراني لمدينة وهران :

أولا - خلال الفترات الاسلامية الأول قبل الاحتلال الاسباني:

لقد نشأت مدينة وهران في مرحلتها الأولى ابتداء من تاريخ تأسيسها العام 290هـ على مساحة صغيرة من الأرض كانت ملكا لقبيلة أزداجة البربرية، والممتدة على الضفة اليسرى من وادي الرِّحِي المجاورة للبحر، وقد جلب إليها موضعها الممتاز عددا كبير من السكان لتصبح فيما بعد منفذا بحريا لتلمسان ولعديد الدول التي حكمت المنطقة، وذلك يرجع بالأساس إلى ميناء المرسى الكبير الذي عُد من أفضل موانئ المغرب الأوسط.

غير أن التطور العمراني لمدينة وهران ارتبط ارتباطا وثيقا بالمعطى التاريخي وبالظروف الأمنية التي عرفتها المنطقة، فأحيانا شهدت فترات متتالية من التقدم والازدهار وأحيانا اخرى شهدت فترات من التقهقر والانحصار، فلم يكد يمر على تأسيس هذه المدينة الفتية سبع سنوات حتى زحفت عليها قبائل زناتة وأضرمت فيها النيران سنة 297هـ، عاما بعد ذلك؛ استطاع دواس بن صولات عامل الفاطميين بتاهرت أن يزحف على المدينة ويفتحها ويعيد تعميرها من جديد.

وقد عرفت حينها الاستقرار والهدوء مما انعكس بالإيجاب على تطورها العمراني، حيث شهدت بناء العديد من المساكن الفخمة والمساجد ذات المآذن الرشيقة كما شهدت إقامة الأسواق الواسعة وأحيطت بأسوار ذات أبراج مما أدى إلى نزوح قبائل المناطق المجاورة إليها.

وفي سنة 343هـ /954م فتح يعلى بن محمد زعيم قبيلة بني يفرن وحليف الأمويين وهران وتغلب على حاكمها حينذاك محمد بن عون، ليخربها ويحرقها، وينقل أهلها عنوة إلى مدينة إيفكان التي كان قد اختطها العام 342هـ بأراضي بني راشد، ثم تراجع الناس إليها بعد ذلك وأعادوا تعميرها من جديد.

في سنة 406هـ /1005م تمكنت قبيلة أزداجة من حكم وهران، إلا أن المعز بن زيري بن عطية تمكن من إخراجهم منها وعين على رأسها أبناء خزر الزناتي الذين تداولوا على حكمها سنين عديدة، عرفت خلالها وهران الاستقرار والهدوء والذي يكون قد انعكس إيجابا على تطورها العمراني دون ريب، وهذا ما يكون قد أكده الناصري في كتابه عجائب الأسفار.

في سنة 473هـ/1081م تمكن المرابطون من فتح وهران، وقد عرفت المدينة خلال تلك الفترة شهرة معتبرة لأهمية ميناءها من جهة ولقوة سلطتها المركزية بتلمسان فصارت إحدى أهم مدن بلاد المغرب الأوسط.

وفي سنة 539هـ/1145م يسيطر الموحدون بقيادة عبد المؤمن بن علي على وهران، حيث تعرضت للحصار بعد أن لجأ إليها فلول المرابطين، لتهدم أسوارها وتقتحم بواباتها، فنزل أهلها على حكم عبد المؤمن في يوم عيد الفطر من ذلك العام.

خلال حكم الموحدين شهدت وهران فترة ازدهار واستقرار كبيرة وغدت نقطة ارتكاز عسكرية وعاصمة إقليمية انطلقت منها عديد الحملات العسكرية لفتح ما تبقى من مدن بلاد المغرب على غرار قسنطينة وتونس.

حين استلاء السلطان المريني على المدينة واقامته بها لبعض الوقت أمر بتشييد البرج الأحمر الذي صار إيوان الحكم لكل من ملك المدينة فيما بعد، كما بنى في الوقت ذاته حصن المرسى الكبير، وكان هذا عام 747هـ/1346-1347م.

ثانيا - خلال الاحتلال الاسباني الأول:

ومع مطلع القرن السادس عشر تحتل المدينة من طرف الاسبان، ومما يجب التنويه إليه أن المدينة خلال الفترة الاولى من هذا الاحتلال والذي دام زهاء القرنين حافظت على طابعها

العمراني الاسلامي، فرغم ما طالها من التغييرات والإضافات المعمارية فإن ذلك لم يغير من ذلك الطابع في شيء ولم تكن ذات صلة بالفكر العمراني الاسباني الحديث.

أما عدد السكان فلم يتجاوز في أحسن الأحوال الأربعة آلاف نسمة، نصفهم تقريبا من جنود الحامية، ونصفهم الآخر من المدنيين، في حين بلغ عدد المساكن 500 مسكن فقط. وهو ما انعكس سلبا على التطور العمراني للمدينة.

ثالثا - خلال الفترة العثمانية الأولى:

لما حررت المدينة للمرة الأولى من قبل الباي مصطفى المسراتي العام 1119هـ/1708م، اتخذت من حينه عاصمة لبايليك الغرب بدلا من معسكر، و قد صاحب ذلك نهضة عمرانية ومعمارية كبيرة. فبعد أن استقر به المقام بوهران شرع الباي في إعادة إعمار المدينة من جديد وجلب إليها السكان من المدن المجاورة وأعاد إليها نشاطها التجاري الذي عرفت به منذ نشأتها الأولى، كما أعاد إليها نشاطها الاجتماعي والثقافي بعد أن كانت مدينة شبه ميتة محاصرة من جميع الجهات إلا من ناحية البحر، غالبية ساكنتها من الجنود المتحصنين بين أسوارها وداخل حصونها وأبراجها والعمال المشتغلين في بناء الأبراج وحفر الأنفاق، أما ساكنتها من المدنيين فكان قليل جدا لا يتعدى في أحسن الأحوال الأربعة آلاف نسمة.

وقد قام الباي بانجاز الكثير من المباني خاصة منها الدينية والمدنية، ومن جهة أخرى فقد وسّع في القصبة، وهذا من خلال ما بناه من مباني وعلى رأسها القصر. كما يعتقد أنه بنى بلدة إفري الواقعة إلى الجنوب من وهران، واتخذها كرباط للطلبة المحاصرين للإسبان وذلك العام 1701م.

رابعا - خلال الاحتلال الاسباني الثاني:

خلال فترة الاحتلال الاسباني الثانية لوهران (1732-1792م) ساءت الأوضاع كثيرا وفي جميع المجالات وقد انعكس سوء الأوضاع هذا على تطور النسيج العمراني للمدينة بشكل سلبي، فوهران التي كانت تضم بين أسوارها قبل الاحتلال الاسباني الأول ستة آلاف مسكن وألف وخمسمائة حانوت، زيادة على مساجدها ومدارسها وحماماتها الكثيرة، لم تعد تتسع في أحسن الأحوال خلال فترة الاحتلال الاسباني الثاني لأكثر من 532 مسكنا و42 بناء عموميا، أما عدد السكان فقدر وفق إحصاء رسمي تم سنة 1787م بـ7793 نسمة أغلبهم من الجنود، والأكيد أن جهود الاسبان عموما كانت منصبة على تحصين المدينة وليس على إعمارها.

خامسا - خلال الفترة العثمانية الثانية:

غير أن الحالة هذه تبدلت بشكل ملفت عقب التحرير الثاني لها وعرف نسيجها العمراني تطورا كبيرا كما تضاعف عدد سكانها حيث بلغ نحو 25 ألف نسمة. أما الفترة الثانية من الحكم العثماني للمدينة فهي التي أعقبت تحريرها الثاني والنهائي العام 1206هـ/1792م من قبل الباي محمد الكبير، والذي اتخذ وهران عاصمة لبايليكه عوض معسكر، عرفت خلال فترة حكمه التي

دامت إلى غاية 1213هـ/1799م الأمن والاستقرار والرخاء، وقد حاول أن يعيد لها مجدها بعد أن كانت عبارة عن قلعة محصنة شبه مغلقة، وبذل جهودا معتبرة لتعميرها وإصلاح ما تخرب منها، واستقدم إليها السكان من كل مكان؛ من معسكر ومازونة ومستغانم وتلمسان والمدية وملیانة وغيرها، بل وحتى من وجدة وفاس، ووزع على الوافدين أراض للبناء على الضفة اليمنى لوادي الرحى، وعلى تلك الضفة نشأت المدينة الجديدة - التي نظم شوارعها ووسع في أحيائها - باعتبار أن المدينة القديمة أتى الزلزال على معظمها، وما بقي سالما من مبانيها الخاصة والعامة اتخذ بعضه كمقرات وإدارات لعاصمة البايليك الجديدة، ووزع بعضه على المقربين منه. ومن جهة أخرى سمح للكثير من الأسبان المدنيين بالإقامة في المدينة ولاسيما أصحاب الحرف والصناعات مع ضمان الحماية والمساعدة لهم. كما استقدم اليهود من مختلف المدن وخاصة من ندرومة ومعسكر وتلمسان ومستغانم وذلك قصد تنشيط التجارة.

ولم تشهد المدينة بعد وفاة الباي محمد الكبير وإلى غاية احتلالها من قبل الفرنسيين تطورا عمرانيا كبيرا سوى ما يكون قد بناه البايات الذين تداولوا على حكم المدينة من منشآت معمارية على غرار الباي عثمان بن محمد الذي تولى الحكم سنة 1213هـ/1799م مباشرة بعد موت أبيه الباي محمد الكبير، ونقل مركز حكمه من البرج الأحمر إلى القصبة.وهو الذي يكون قد بنى أو جدد جامع سيدي الهواري إضافة إلى مساكن فخمة تطرق اليها بعض الكتاب المعاصرين ولم نتمكن من الوقوف عليها.

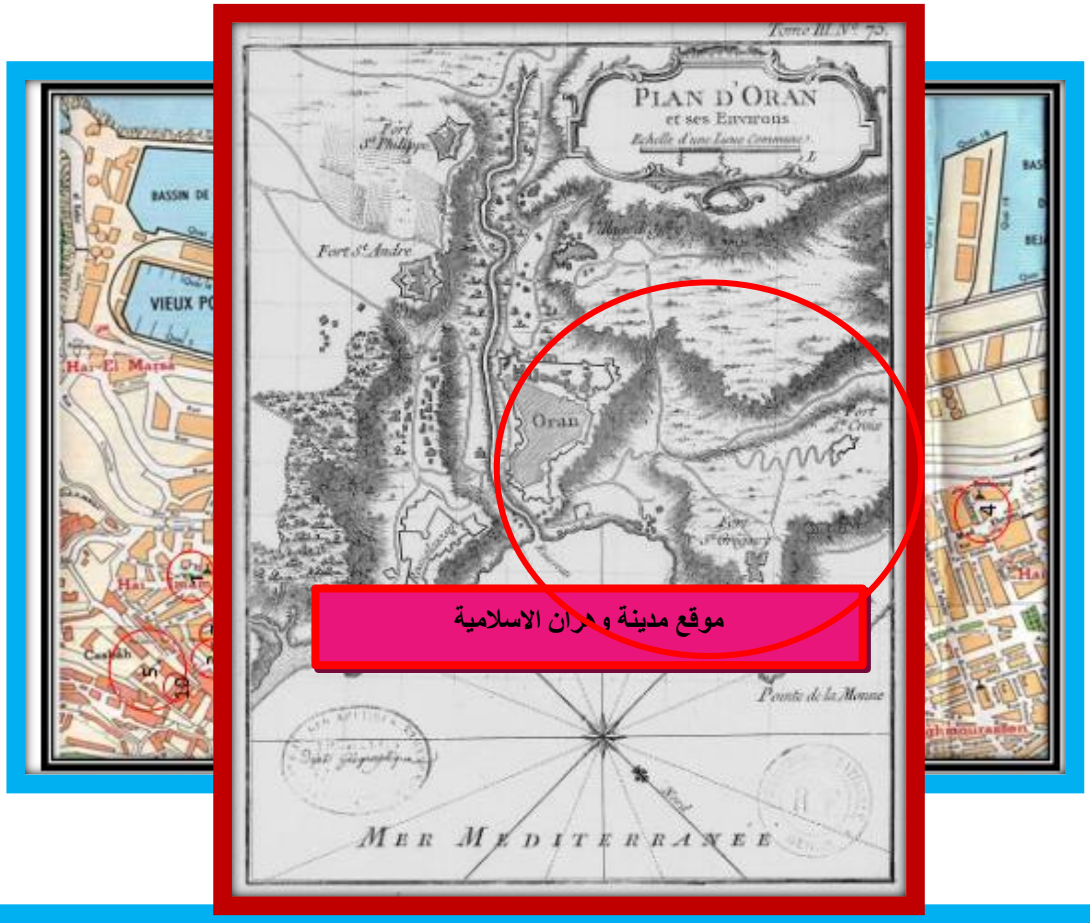
PLAN D'ORAN
et ses Environs
Fort St Philippe
Fort St André
Oran
Fort St Croix
موقع مدينة وهران الاسلامية
Pointe de la Moune
MER MEDITERRANEE
BASSIN DE
VIEUX PO
Hai-El Marsa

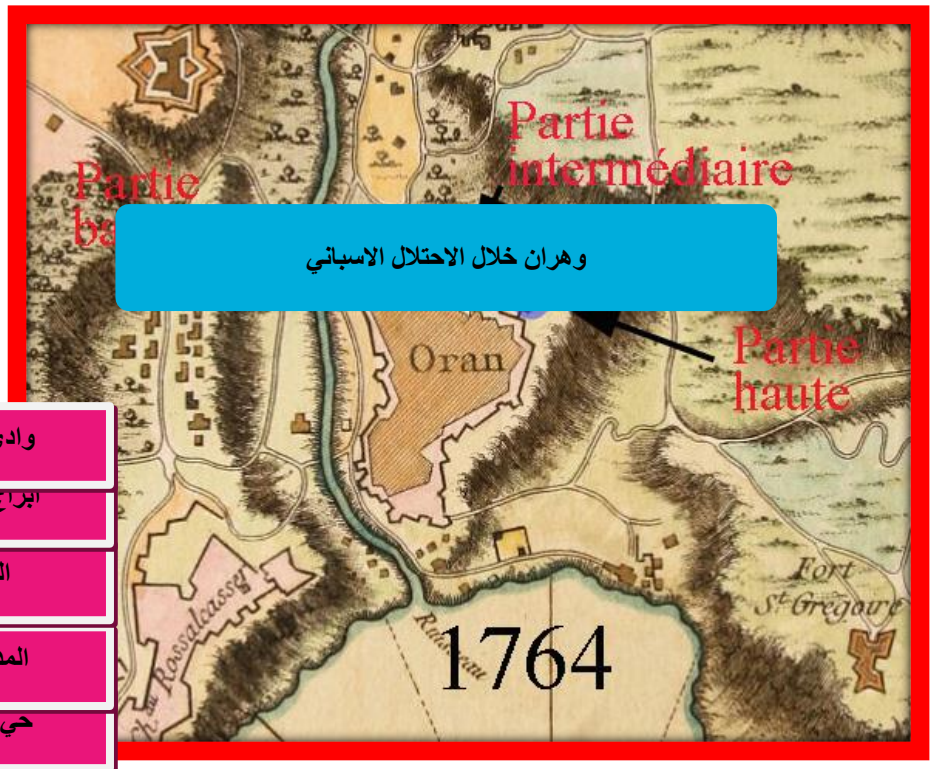

وهران خلال الاحتلال الاسباني

- وادي الرحي
- ابراج اسبانيه
- القصبة
- المدينة الأم
- حي البحريه
- رأس القصر

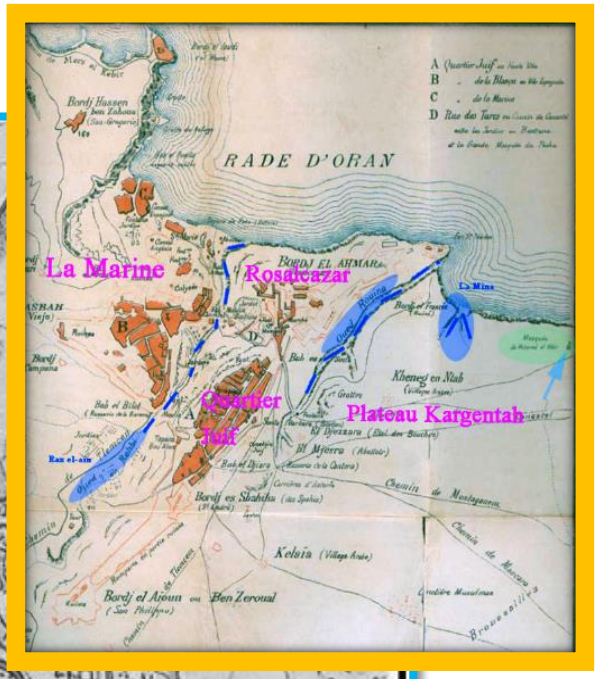

المدينة الأم

الثاني

وهران خلال الفترة العثمانية الثانية

التطور العمراني لمدينة وهران خلال العهد العثماني:

التركيبة العمرانية لمدينة وهران :

نظرا لقلة المصادر التاريخية التي تطرقت لوهران من الناحية العمرانية ولاندثار الكثير من معالم المدينة التي ترجع إلى الفترة الاسلامية على وجه الخصوص، فإنه من الصعب تتبع التطور العمراني لها، ومع ذلك فإن ما وقفنا عليه من المصادر التاريخية ومن الشواهد المادية جعلنا نستنتج أن وهران لم تختلف في تركيبتها عن باقي المدن الاسلامية سواء من حيث نسيجها العمراني أو معالمها المعمارية:

أولا- مقر الحكم :

كانت دار الإمارة تقع في أعلى القصبة إلى الجنوب من المدينة على ارتفاع 90 م، وكان معظم حكام وهران يزاولون حكمهم منها بما فيهم الحكام الاسبان وذلك حسب المصادر التاريخية، وبعد التحرير الثاني للمدينة العام 1792م نقل الباي محمد الكبير مقر الحكم الى البرج الاحمر ثم إلى القصر الذي بناه عقب الفتح مباشرة، وخلال فترة حكم ابنه الباي عثمان (1799-1801م) انتقل هذا الأخير إلى القصبة واتخذ من قصرها الذي بناه الباي مصطفى المسراتي دارا للإمارة خلال فترة حكمه للمدينة ما بين سنتي 1708 و1732م، مع العلم أن هذين المعلمين لا يزالان قائمين إلى يومنا، ولو أن قصر القصبة أصابه الكثير من التخريب والتهديم.

قصبة وهران

ثانيا- المسجد الجامع:

لا نملك معطيات تاريخية عن مسجد المدينة الجامع من حيث موقعه أو من حيث تاريخ بناءه، إلا أنه من المؤكد أن وهران كان بها مسجد جامع تؤدى فيه صلاة الجمعة وهو ما تؤكده المصادر التاريخية، ففي حوالي منتصف القرن الخامس الهجري ذكرها البكري وتحدث عن جامعها، وفي هذا يقول : " ولها مسجد جامع"، دون أن يمدنا بمعلومات مفصلة عن الجامع ولا عن غيره من المساجد التي تكون موجودة حتما بالمدينة. وفي سنة 848ه خلال الحكم الزياني لها زارها القلصادي على مرتين وأقام بها لأيام في الزيارة الأولى والثانية، إلا أنه لم يأت على وصفها، باستثناء الإشارة عرضا إلى جامعها الأعظم في سياق الكلام عن الأحباب والإخوان حيث قال : "... فمنهم الشيخ المتبرك: إنه مقام الوالد إمام الجامع الأعظم سيدي أبو عثمان سعد الشلوني (في)". وفي حديثه هذا إشارة غير مباشرة إلى وجود مساجد أخرى بالإضافة إلى جامعها الأعظم. في حدود منتصف القرن الحادي عشر الهجري زار العسكري والمؤرخ الاسباني كربخال وهران وهي إذ ذاك تحت الاحتلال الإسباني، وفي معرض حديثه عن تاريخ وهران واقتحام الأسبان للمدينة العام 915هـ/1509م وما ارتكبوه من مجازر ضد المسلمين، أشار كربخال عرضا إلى بعض المباني الدينية والمتمثلة في الجامع وبيت الفقيه إذ يقول: "... وإن كان بعض المسلمين قد صمدوا خمسة أيام في دار الفقيه وكانت محاذية للجامع، ولكنهم في النهاية لم يستطيعوا النجاة من الفتك أو الأسر".

ومن جهة أخرى فقد تخلف عن الفترة العثمانية العديد من المساجد منها جامع محمد بن عثمان الواقع في المدينة الاسلامية إلى اليسار من ضفة وادي الرّحي، على يمين شارع النابلسي حاليا، والذي نرجح أن يكون هو الجامع الأعظم لاسيما وأنه يتوسط المدينة ويشرف على رحبة الجوهرة وقريبا منه يقع الحمام الكبير الذي بناه الباي مصطفى المسراتي، رغم بعده عن القصبة حيث مقر الحكم (دار الإمارة). والذي يكون قد بُني خلال ولاية الباي مصطفى المسراتي الذي حكم بايليك الغرب بين سنتي 1119هـ و1145هـ/1708 و1732م، وإن كانت المصادر التاريخية سكتت عن ذلك.

والأكيد أن الباي الأول لوهران يكون قد بنى بالتأكيد مسجدا واحدا على أقل تقدير داخل الأسوار كانت تقام به صلاة الجمعة، خاصة إذا علمنا أن المساجد التي بنيت في المدينة قبل الاحتلال الاسباني الأول قد حولت كلها إلى كنائس كما تشير إليه الكثير من المصادر العربية والأجنبية. ومع ذلك فإن اعتقادنا هذا لا ينفي بالضرورة أن يكون الجامع أقدم في بناءه من ذلك التاريخ الذي رجحناه، ثم جُدد في عهد الباي مصطفى وأضيفت له قبة مركزية على غرار المساجد ذات الطراز العثماني.

ومما لا شك فيه أن جامع الباشا الذي بُنِيَ بعد التحرير النهائي للمدينة من الأسبان العام 1796م وبأمر من باشا الجزائر حين ذاك وقريبا من قصر الحكم؛ كان هو عنوان الحكم العثماني بوهران والجامع الأعظم لوهران، حيث ظل يرتاده البايات والأغوات طيلة الفترة الثانية من حكمهم، والذي يعتبر المعلم الوحيد الباقي الذي شُيّد على طراز المساجد العثمانية ذات القبة المركزية، حتى يكون رمزا للتواجد العثماني بهذه المدينة على غرار ما كان عليه الحال في باقي مدن الجزائر، وهو الذي كان يُسَيَّرُ حسب اعتقادنا وفق المذهب الحنفي، ليفقد بالتالي جامع محمد بن عثمان مكانته الذي كان عليها من قبل.

وللعلم فقد ذكر إحصاء 1851م الذي قامت به سلطات الاحتلال أنه كان بالجزائر حينذاك 1569 مسجدا منها 75 في المناطق المدنية (الحضرية)، 14 منها بإقليم وهران، أما المساجد الواقعة في الريف فبلغت 1494 مسجدا، منها 194 في إقليم وهران. ومع ذلك فإن هذا الإحصاء المهم لم يُشر إلى عدد المساجد التي كانت موجودة بمدينة وهران والذي بلغ حسب اعتقادنا الأربعة مساجد على أقل تقدير، ثلاثة منها لا تزال قائمة إلى اليوم محافظة على طابعها الأصيل، بينما حول الرابع إلى كنيسة خلال فترة الاحتلال وهو الذي كان يعرف بمسجد البرانية أو جامع بني عامر، وفي العام 1400هـ/ 1980م تمّ فتحه من جديد للمصلين بعد إجراء بعض التغييرات عليه ليسمى باسم الصحابي أبي عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه.

وتجر الإشارة إلى الكثير من المصادر تحدثت عن كثرة مساجدها ومن ذلك حسن الوزان الذي زارها خلال القرن التاسع الهجري حيث قال: "وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق". وقال عنها كربخال :"... كانت بها التجارات الواسعة والمساجد والمدارس والمستشفيات ومحلات النزول والدور المعتبرة.

كما وجد بوهران الكثير من المدارس والزوايا والتي تعرضت لها مختلف المصادر التاريخية، ومن ذلك حسن الوازن وكربخال، وأيضا الراشدي الذي يقول في سياق حديثه عن العالم إبراهيم التازي - الذي عاش خلال القرن التاسع الهجري

ومات بوهران قبيل الاحتلال الاسباني-وما شيده من المباني الدينية والتعليمية ومرافقها : "... ومن أعظم الدلائل على ولايته الباهرة، وكراماته الظاهرة، ما أجراه الحق سبحانه على يديه من بناء الزاوية النبيهية المتعددة الأبواب، والمساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدة للزوار، وأبناء السبيل بمسجد زاويته نهاية في الفخامة والاحتفال ومدارسها المشتملة على الميضات الأنيقة الدارة، والحمام الذي ما شوهد مثله في البلاد...". وفي ذات السياق يذكر ما أقامه للطلبة من مباني دينية فيقول: "... كم بنى بها من مباني رائعة، وزوايا رائعة... ". إلا أن جميع هذه الزوايا والمدارس تعرضت إلى الهدم من طرف الاحتلال الاسباني للمدينة.

ثالثا ـ الأحياء السكنية :

عرفت وهران خلال تاريخها الطويل ثلاث أحياء رئيسية كبرى وهي حي المدينة الاسلامية القديمة أو المدينة الأم وحي المدينة الجديدة وحي ثالث أصغر هو حي البحرية، وكانت هذه الأحياء الكبرى تنقسم إلى أحياء صغيرة:

1- حي المدينة الأم (القديمة) :

يعتبر النواة الأولى للمدينة يرجع تأسيسه مع نشأة المدينة عام 290ه، يقع داخل السور القديم، ضم فيما نعتقد مختلف المباني الدينية على غرار المساجد والمدارس والزوايا والمباني المدنية كالحمامات والفنادق والحوانيت والرحاب والمساكن وغيرها، سمي خلال الاحتلال الاسباني بالبلانصا ((La Blança، وقد تفرع عنه حي أصغر هو حي القصبة الذي اشتمل على دار الامارة ومختلف المباني الحكومية إضافة إلى السجن. ولا تزال قائمة إلى اليوم فيه بعض المباني لكن في حالة جد سيئة وفي مقدمتها قصر الباي مصطفى المسراتي ودار إقامته وحمامه إضافة إلى الكثير من التحصينات العسكرية الاسبانية على أطرافه.

مع العلم أن حي المدينة الأم تضرر كثيرا بالزلزال الذي دك المدينة في أكتوبر من سنة 1790م، أمر دفع الباي محمد الكبير باستحداث مدينة جديدة على الضفة اليمنى من وادي الرحي. وهو اليوم يشتمل على الكثير من المباني الدينية والمدنية والعسكرية والتي ترجع بالخصوص إلى العهد العثماني بفترتيه الأولى والثانية وإلى فترة الاحتلال الاسباني ولو بشكل أقل. وأهم هذه المباني نذكر جامع محمد بن عثمان وجامع سيدي الهواري وضريحه وحمام الباي مصطفى المسراتي وعدد من الدور السكنية التي لا تزال محافظة على طابعها الأصيل العائدة إلى العهد العثماني ومنها دار الباي إبراهيم الواقعة إلى جانب جامع سيدي الهواري.

2- حي المدينة الجديدة:

يعتبر ثاني أكبر أحياء مدينة وهران من حيث المساحة وعدد السكان، استحدثه الباي عقب فتحه للمدينة عام 1792م، وهو يقع خارج السور القديم ممتدا من الجنوب إلى الشمال بموازاة حي المدينة الأم، ويتفرع عن هذا الحي ثلاثة أحياء صغيرة هي:

-حي جامع الباشا : يقع إلى الشمال من المدينة الجديدة الى جانب قصر الباي، كان يعبره شارع كانيستال الذي صار الشارع الرئيسي لوهران، فعلى حوافه اصطفت العديد من المحلات والحوانيت والمقاهي اضافة الى الجامع الأعظم والحمام الذي بإزائه.

-الحي اليهودي (درب ليهود): يقع الى الجنوب من الحي جامع الباشا، وقد خصصه الباي محمد الكبير لإسكان اليهود رغبة منه في تنشيط التجارة.

-حي رحي الريح: يجاور الحيين السابقين بمحاذاة وادي الرِّحِي وقد ذكر في بعض وثائق البيع.

رابعا- الأسواق والرحاب:

لم نعد نعرف من أسواق المدينة إلا السوق الذي كان يقع أمام باب السوق حيث ساحة أول نوفمبر اليوم بمحاذاة سور المدينة الثاني، الذي يربط القصر الجديد ببرج الصبايحية (سان اندري) والذي كان من المفترض أن تباع فيه مختلف السلع، غير أن الإدريسي أشار إلى تعدد أسواقها قائلا : "... وبها أسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة"، وليس غريبا أن تكون بها اسواق عديدة باعتبارها كانت مركزا تجاريا كبيرا فمنها وإليها ترد وتصدر مختلف السلع. أما ما بقي من الرحاب فهي ساحة الشيخ عبد القادر (ساحة الجوهرة سابقا)، ولو أن بعض المصادر أشارت إلى وجود العديد من الساحات ومنهم كاربخال الذي قال أن:" كل مرافقها رائقة البناء وأزقتها وساحتها جيدة الترتيب.

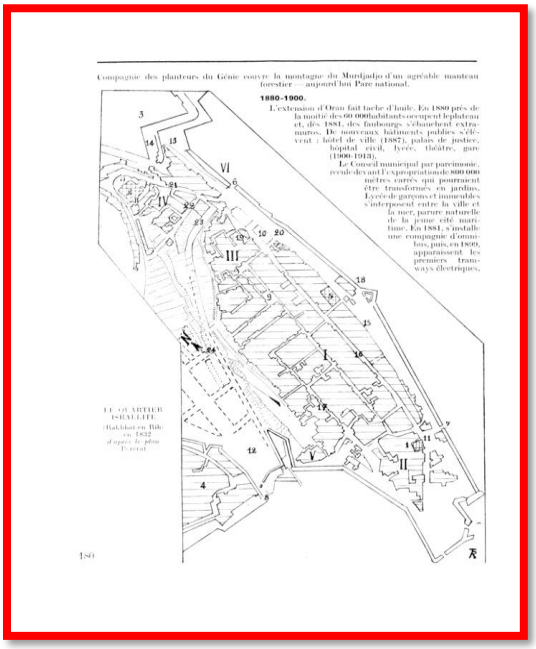

خامسا- الشوارع والطرقات :

لا تكاد تختلف شوارع وأزقة مدينة وهران عن باقي شوارع وأزقة مدن الجزائر خلال الفترة العثمانية على غرار مدينة الجزائر وقسنطينة بل ولا عن مدن الفترة الوسيطة، فقد تميزت شبكة الطرق بالمدينة الاسلامية بالتواءاتها وانكساراتها أحيانا وعدم انتظام في اتساعها، فقد تتسع وقد تضيق نظرا لعوامل مختلفة، وغالبا

ما تتفرع عن الشوارع الكبرى طرقا أصغر تنتهي بدروب.

وبالعودة إلى وهران فقد بلغ عدد شوارعها وطرقها فيما تخلف منها نحو سبعة وعشرين، أهمها شارع سيدي الهواري (القصر القديم سابقا) الذي يمتد من الجنوب إلى الشمال كما كان الحال في أغلب المدن الاسلامية القريبة من البحر، وهذا الشارع يربط طرفي المدينة وينتهي عند مركز المدينة حيث رحبة الجوهرة، كما يوجد شارع آخر هو شارع القصبة الذي يمتد تقريبا بموازاة الشارع السابق في الجهة المرتفعة من المدينة وينتهي هو الاخر عند مركز المدينة، وبالإضافة إلى هذين الشارعين فقد وجدنا طرقا أخرى عديدة بعضها يمتد عموديا على الشارع الرئيسي والبعض الآخر بالموازاة معه.

وعقب تحرير المدينة من طرف الباي محمد الكبير استحدثت شوارع وطرقا جديدة تمخضت عن بناء المدينة الجديدة، ولعل أهم شارع استحدث هو ذلك الذي ربط المدينة الأم بالمدينة الجديدة، والذي ينطلق من باب كانيستال مارا أمام جامع الباشا على شارع بن عمر بوتخيل (شارع فيليب سابقا) لينتهي عند باب السوق حيث المدخل الشرقي لوهران أمام ساحة أول نوفمبر حاليا، ليصبح الشارع الرئيسي الأهم حيث اصطفت على جوانبه الكثير من المباني الدينية والمدنية والحوانيت والورشات والمقاهي. كما استحدثت طرقا عديدة أخرى بداخل أحياء المدينة الجديدة، غير أن ما يلاحظ على هذه الاخيرة أنها تميزت بالاستقامة وعدم الالتواء نظرا لانتظام سكنات ومباني هذا الحي الجديد على غير عادة غالبية المدن الاسلامية.

سادسا- التحصينات العسكرية :

تعتبر وهران من اكثر المدن تحصينا في الجزائر نظرا لما امتلكته من استحكامات عسكرية عديدة، وهذا راجع في الاساس إلى الظروف الامنية والعسكرية التي مرت بها سواء خلال الفترة الوسيطة أو الفترة الحديثة، ومن ذلك احتلالها من طرف الاسبان على مرتين والذي دام أزيد من قرنين ونصف من الزمان وهذه التحصينات هي:

1- السور:

لا يزال الكثير من أجزاء السور قائمة إلى اليوم، وأكثر ما اندثر منه هو ما كان يقع في الناحية الشرقية من المدينة الاسلامية نظرا لعمليات الهدم التخريب التي قامت بها سلطات الاحتلال الفرنسي بعد احتلالها للمدينة رغبة في توسيع وهران.

يبلغ طول السور 2557م، وكان يتخلله عند أنشائه بابان؛ باب تلمسان في أسفل المدينة جنوبا وهو الباب الذي يتوجه نحو مدينة تلمسان، وباب كانيستيل، والذي يقع في الناحية الشرقية أسفل المدينة وقريبا من مصب وادي الرحى، وكان يعتبر المدخل الرئيسي حيث منه نتوجه شرقا حيث قرية كريشتل ونحو المرسى أيضا.

ونعتقد بناء على معطياتنا التاريخية والأثرية أن السور في مساره الحالي يعود بناءه إلى الفترة التي بنيت خلالها وهران وليس إلى الفترة الاسبانية، فأكثر ما قام به الاسبان هو تجديدة وترميمه وزيادة تقويته، ومن جهة أخرى فمازالت لحد اليوم آثار السور الأصلي قائمة وبالخصوص في القصبة، والتي نرجح أنها تعود إلى العهد الموحدي على أقل تقدير بحكم مواد وتقنية البناء الاسلامية.

وفي فترة لاحقة من تاريخ وهران أضيف سور ثاني إلى الشرق من المدينة، يمتد من الشمال إلى الجنوب حيث القصر الجديد وينتهي عند برج بني زروال (سان فيليب)، وكان يتخلله بابان؛ باب السوق شمالا وباب الجيارة عند برج الصبايحية(برج سان اندري) جنوبا، غير أن معالم هذا السور اندثرت تماما في بداية الاحتلال الفرنسي.

وقد زود السور الأول للمدينة من بعض جهاته بخندق كنظام دفاعي متقدم، كان الهدف منه إعاقة المهاجمين عن التقدم، كما استعمل أيضا لتجميع مياه الامطار. أما من الناحية الشرقية للمدينة الأم فقد شكل وادي الرِحّي خندقا طبيعيا زود بجسرين للعبور إلى الضفة اليمنى؛ عرف الأول باسم جسر تلمسان لوقوعه قرب باب تلمسان والثاني عرف باسم كانيستال لوقوعه هو الآخر قرب باب كانيستال.

2- الأبواب :

كان يتخلل سُوريْ المدينة العديد من الأبواب وصل عددها إلى تسعة حسب البعض تتوزع بحسب الجهات والنواحي، اندثر اغلبها بُعيد احتلال فرنسا لوهران، ولم يبق منها إلا بابان هما:

أ- باب كانيستال: عرف أيضا باسم باب البحر لاشرافه وقربه من الساحل، كما سمي بباب الجزائر وباب الشرق وباب سوق الخيل. يعتبر أقدم باب للمدينة إلى جانب باب تلمسان، لا يزال قائما إلى اليوم، وكان يعتبر الأهم من بين جميع أبواب المدينة، شهد ترميمات مهمة خلال الفترة الاسبانية.

ب- باب سانتون: سمي أيضا بباب مايوركة وباب المرسى، وهو يقع في الناحية الغربية الشمالية من المدينة، بناه الاسبان عند احتلالهم الثاني للمدينة سنة 1754م، لا يزال في حالة جيدة من الحفظ، كان يؤدي إلى المرسى وحي البحرية وإلى مرتفعات مرجاجو إضافة إلى الأبراج الاسبانية القريبة.

وإلى جانب هذين البابين فقد كان لوهران عدة أبواب أخرى تردد ذكرها في الكثير من المصادر سواء العربية أو الأجنبية ولا سيما الفرنسية منها وهي :

-باب تلمسان: كان يقع قريبا من الركن الجنوبي الشرقي لوهران على الضفة اليسرى من وادي الرحي.

-باب القصبة: يقع أعلى القصبة ويؤدي إلى مرتفعات مرجاجو، وقد ذكره المؤلف الفرنسي بييس (Piésse).

-باب السوق: عرف بالاسبانية باسم : (La Barrera de Rosalcazar) سماه الفرنسيون بباب نابليون، بناه الاسبان سنة 1740م، كان يوجد كما أسلفنا عند نهاية السور الثاني للمدينة قريبا من البرج الأحمر والذي كان يتصل بباب كانيستال عبر طريق صار الشارع الرئيسي للمدينة عقب تحريرها الثاني من الاسبان عام 1792م.
-باب الجيارة: شيده الاسبان وسموه بـــ(Rasserio de la Cantera) كما سمي بباب المحاجر وبباب سان أندري، يقع إلى الجنوب من الباب السابق عند برج الصبايحية (سان أندري) غير بعيد عن مسجد البرانية حيث كانت أفران الجير.
-باب عمارة : يقع غرب البرج الاحمر وقرب مصب وادي الرحى، استعمله قاطني حي البحرية لدخول المدينة.

كما ورد في بعض الكتابات أسماء أبواب أخرى هي باب لامون وباب الحمراء وباب البيرتا(Bab el Puerta)، لكن لم نتعرف على مواضعها، ولا عن حقيقة وجودها فقد تكون تسميات لأبواب سبق ذكرها.

3- الأبراج والحصون:

كان للمدينة العديد من التحصينات العسكرية التي ترجع إلى الفترة الوسيطة، وما تخلف منها أعاد استعماله الاسبان عند احتلالهم للمدينة سنة 1509م بعدما أدخلوا عليها بعض الاصلاحات، ومن ذلك السور بأبراجه والبرج الأحمر والقصبة، كما أنشأوا عددا من الحصون والأبراج في الفترة الأولى من احتلالهم للمدينة (1509-1708م). وقد ذكرها الراشدي باسهاب حيث يقول : "... وهي محوطة بحصون شامخة راسخة كأنها الهضاب، وفيها مدافع معدة لرمي الجنود كأنها أسود غضاب. وهي خمسة حصون عظام صعبة المرام، لكل منها خندق خاص دائر به من جميع جهاته كأنه متمنطق به، وعلى شفاه الخندق خشب محددة الرؤوس دائرة، يلي كل حصن حصنا أصغر منه بينهما فراغ لا يخلص إلى الأكبر حتى يتخلص من الأصغر...". وهذه الحصون والأبراج هي برج مرجاجو وبرج بن زهوة المسمى أيضا ببرج القديس غريغواري وبرج لامون وبرج القديس فرديناند. وخلال الفترة الثانية لاحتلالهم وهران (1732-1792م) قاموا ببناء تحصينات عسكرية أخرى خاصة على الضفة اليمنى لوادي الرحي على غرار حصن القديس أندري المعروف ببرج الصبايحية وحصن القديس فليب المعروف ببرج بني زروال إضافة إلى برج القديسة تيراز وبرج القديس ميغال وبرج القديس كارلوس. وكانت هذه الابراج والحصون مدعمة باسوار وانفاق تعزز دفاعاتها. وقد أشار الراشدي إلى كثرة أنفاقها وقوة تحصينها خلال الاحتلال الثاني لها من طرف الأسبان مقارنة بما كانت عليه

زمن الباي مصطفى المسراتي فقال : "... وما من موضع من هذه المواضع إلا وفيه نفق يؤدي إلى غيره، فمن كان فيها وأراد أن يذهب تحت الأرض إلى أي موضع منها أو من المدينة ذهب، وبذلك ازدادت هذه المدينة تحصينا على ما كانت عليه في زمن أبي شلاغم...".

غير أن هذه الحصون والأبراج نالها ما نال المعالم المعمارية عموما من الهدم والتخريب والإهمال ولم يبق منها إلا القليل قائما، وفي مقدمتها حصن مرجاجو والبرج الأحمر.

سابعا- الأرباض:

عرفت وهران العديد من الأرباض استحدثت كلها من قبل بايات البايليك لعدة أهداف وأغراض باستثناء ربض البحرية، كانت تقع على الطرق الكبرى المؤدية إلى المدن المشهورة حينها كتلمسان ومعسكر ومستغانم، وهذه الأرباض هي:

1- ربض إفري: يقع جنوب المدينة، أنشأه الباي الأول لوهران مصطفى المسراتي عام 1701م أين أقام رباط الطلبة لمحاصرة الإسبان الذي استطاع دحرهم وطردهم من وهران والمرسى الكبير عام 1708م. بعد الاحتلال الثاني للمدينة سنة 1732م؛ استوطن البلدة القبائل الموالين للمحتل المعروفون بـ"المغاطيس"، لكن وبفعل الهجمات المتتالية للجزائريين اضطر هؤلاء للانسحاب مرة أخرى واللجوء الى حي لاكاليرا (La Calera) الواقع بمقربة من سور المدينة الغربي. لتعمر بلدة افري من جديد خلال الحصار الثاني للأسبان من طرف الباي الثاني لوهران محمد الكبير عام 1789م، أين أقام رباطا للطلبة، وبعد التحرير صارت ضاحية تعج بالسكان.

2- ربض القليعية: يقع إلى القرب من باب الجيارة، وهو الربض الذي سكنه الأشخاص القادمين من قلعة بني راشد بنواحي معسكر ابتداء من عام 1790م، بتشجيع وتحفيز من الباي محمد الكبير.

3- ربض رأس العين: يقع قريبا من منبع وادي الرحي في الناحية الجنوبية من وهران، على مقربة من حصن رأس العين (San Fernando).

4- ربض خنق النطاح: أهم ضواحي المدينة على الاطلاق، يقع إلى الشرق من المدينة ذو مساحة ممتدة ومصادر مياه كثيرة، سكنته قبائل الدوابر والزمالة والغرابة، أقام به الباي محمد الكبير مدرسته الشهيرة وهي لا تزال قائمة إلى اليوم، والتي تخرج منها الكثير من علماء المنطقة ومن بينهم الأمير عبد القادر.

ولقد كان القصد من إقامة هاتين الضاحيتين الأخيرتين بعد عام 1792م توطين القبائل شبه الرحل من جهة، ومن جهة أخرى لامتصاص الفائض من السكان التي عجزت المدينة من استيعابهم، بحيث أن عدد الذين سكنوا بالضاحيتين تساوى أو فاق عدد من سكن وهران داخل الأسوار.

5- ربض البحرية: شيد شمال المدينة في المساحة المحصورة بينها وبين البحر بالضفة الغربية لوادي الرحي، سكنه أول الأمر الأندلسيون، وباحتلال المدينة سنة 1509م أُبعِدو من طرف الاسبان الذين قاموا بتوسيعه من خلال انشاء بنايات جديدة سنة 1563م، وقد تعرض لعمليات تعمير جديدة بعد احتلالهم الثاني لوهران، ليصبح بعد ذلك أحد أهم الاحياء كما سبق وأن أشرنا من قبل.

ملحق المخططات والأشكال والصور

الميناء

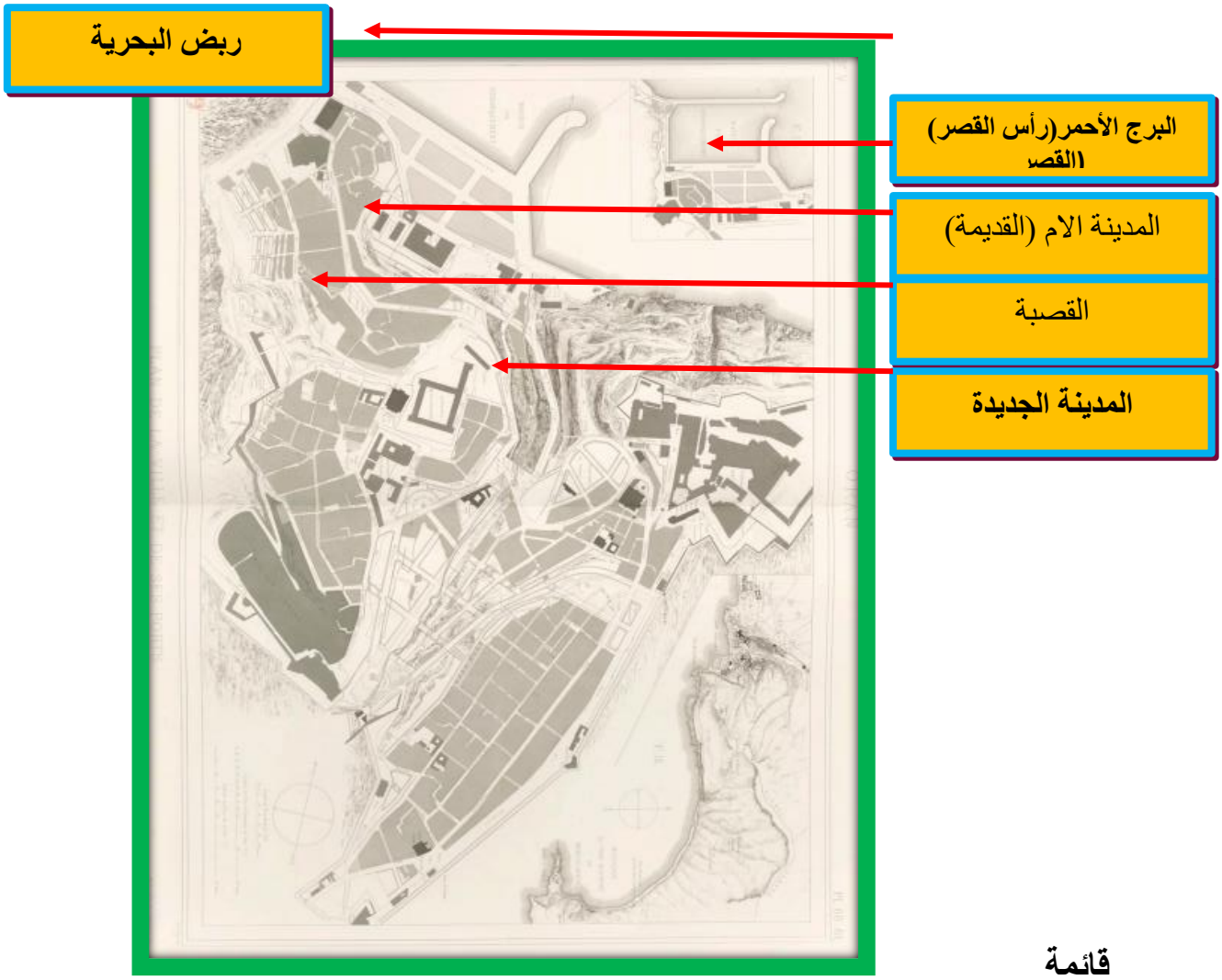

قائمة المصادر والمراجع:

- **مارمول، كربخال،** إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار نشر المعرفة، الرباط، 1988.
- **الوزان، حسن بن محمد**

الفاسي، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
- **جبار، آسيا**، مدن الجزائر في القرن التاسع عشر، منشورات ANEP، الجزائر، ب.ت.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1410هـ/ 1980م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع الهجري(16-20م)، الجزءان الأول والثاني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م.
- **سعد الله، أبو القاسم** ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الرابع، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م.
- **سعيدوني، ناصر الدين**، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- **سعيدوني، ناصر الدين والبوعبدلي المهدي**، الجزائر في التاريخ؛ العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.
محفوظ بوطبة، أطلس العمارة العسكرية بالجزائر في العهد العثماني من خلال المصادر المادية والكتابية ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر –معهد الآثار، 2017/2016م.
- **الواعر، صبرينة** " الغزو الاسباني للمدن والموانئ الجزائرية؛ وهران والمرسى الكبير أنموذجا"، أعمال الملتقى الدولي؛ الموانئ الجزائرية عبر العصور "سلما وحربا" المنعقد يومي 07-08 ديسمبر 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، الجزائر.
- **دي ايبلزا، ميكال و الوسلاتي الهادي** "ملاحظات أب اسباني يزور وهران في عهد مصطفى بوشلاغم"، المجلة التاريخية المغربية، العدد12، 1978م.
- **مقيبس، بشير**، مدينة وهران؛ دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
- **بوعزيز، يحيى**، مدينة وهران عبر التاريخ، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م.
- **بوعزيز، يحيى**، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1985م
- **الناصري أبو راس، محمد بن أحمد بن عبد القادر**، الحلل السندسية في شان وهران والجزيرة الأندلسية، تحقيق؛ سليمة بن عمر، دار صنين للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، د.م، 2002م.
- **المزاري، آغا بن عودة إسماعيل**، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر،الجزء الأول، تحقيق ودراسة : يحي بوعزيز، دار البصائر، الجزائر، الطبعة الأولى، 2007م.

- **الزياني، محمد بن يوسف،** دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق: المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1399هـ/1979م.
- **الراشدي، ابن سحنون،** الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق: المهدي البوعبدلي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر،2013م.
- **المشرفي، عبد القادر بن عبد الله إبن أبي جلال،** بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، مخطوط منشور على شبكة الأنترنت، مدونة سيدي بن عزوز (albordj.blogspot.com).
- **بورويبة، رشيد،** وهران، سلسلة فن وثقافة، 1979م.
- **بلجوزي، بوعبد الله،** آثارعمران حواضر بايليك الغرب في العهد العثماني، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2012/2013م.

Lespès, R, « Oran, ville et port avant l'occupation française (1831) », In Revue africaine, N° 75, 1934. PP 277-335 .3° trimestre,

Don Joseph Valléjo, « Contribution à l'histoire du vieil Oran », Trad : Casenave, In R.A., V. 66, 1925 .

Casenave, Jean, « Contribution à l'histoire du vieil Oran », In RA., V. 66, 1925 .

Birebent Paul, " Oran avant la France", L'Algérianiste, n° 103, Septembre, 2003.

Ferhat Bendaoud, R. H., étude de l'Architecture militaire de la ville d'Oran pendant l'occupation espagnole 1505-1792, Mémoire de Magister, école polytechnique d'architecture et d'urbanisme, Alger, 1999/2000.

Benkada Saddek, Espace urbain et structure sociale à Oran de 1792 à 1831, Mémoire de diplôme d'étude approfondies, université d'Oran, Institut des sciences sociale, Oran, 1988.

Seguy George ,Oran et l'Algérie en 1887, tome 2, Libraire - éditeur, Oran, 1888.

Salinas Alfred, Oran la joyeuse ; Mémoire franco-andalouses d'une ville d'Algérie, Editions L'Harmattan, Paris, 2004.

Lapène Edouard, Tableau historique de la province d'Oran, depuis le départ des espagnols en 1792, jusqu'à l'élévation d'Abdel-Kader en 1831, Metz, 1842.

Lespès René, Oran ; etude de geographie et d'histoire urbaines, .Librairie Félix Alcan, Paris, 1938
Kehl,Camille, Oran et l'Oranie avant l'occupation française, .Imprimerie L. Fouque, Oran, 1942
Epalza)de(Mikel et Vilar Juan Bta, Plans et cartes hispaniques de l'Algérie, 16ème- 18ème siecles, Julio Soto .Impresor, S.A, Madrid, 1988
Fey ,Henri-Léon, Histoire d'Oran ; avant, pendant et après la .domination espagnole, Edition Dar-el-Gharb, Oran, 2002

Golvin,L, Le Maghrib central à l'époque des Zirides, recherches d'Archéologie et d'histoire, Arts et Métiers graphiques, Paris, .1957

Golvin,L, La Mosquée, Imprimeries La Typo-litho et Jules

.carbonel réunies, Alger, 1960
Golvin,L, Recherche archéologique à la Qala de banu Hammad, .Maison neuve, Paris, 1965
Cruck,E, Oran et les témoins de son passé, Imprimerie Heintz .frères, Oran, Octobre, 1956

Abadie Louis, Oran et Mers El- Kébir, vestiges du passé .espagnol**,** Edition Gandini,Paris, 2002

Esterhazy Walsin, De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger, librairie de charles Gosslin, .Paris, 1840
Pièsse, louis, Itinéraire historique et descriptif de l'Algérie, Hachette, Paris, 1862
Raymond, André, Grandes villes arabes à l'époque ottomane, . Editions Sindbad, Paris, 1985
Reclus Onésime, Sites et Monuments ; Algérie (Alger-Constantine-Oran), Tourning –club de France, Paris, 1902
Shaw,(Dr), Voyage dans l régence d'Alger, Traduit de l'Anglais .par J.Maccarthy, Paris, 1850

المحاضرة الثامنة

العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

العمارة الدينية في الجزائر خلال العهد العثماني

تمهيد:

تعتبر عمائر العصر العثماني بمختلف أنواعها بالجزائر هي الأكثر عددا بين عمائر العصور السابقة التي مازالت قائمة لطول أمد العصر العثماني وقرب العهد منه، وهو الأمر الذي نلاحظه في العديد من الدول التي خضعت للحكم العثماني على غرار تونس ومصر وبلاد الشام عموما، وقد مثلت تلك الآثار الشاهد المادي الأبرز - الذي لا تخطئه العين- الدال على الإمتزاج الحضاري والثقافي بين الأتراك والسكان المحليين.

وقد احتلت العمائر الدينية المكانة الأسمى والمقام الأول بين أنواع العمائر التي عكف العثمانيون على إقامتها في مختلف مدن الجزائر، كما كان الحال خلال العصور السابقة، ذلك أن الشارع الحكيم شجّع على بناءها لما في ذلك من الثواب العظيم، بل وأحيانا أوجب إقامتها وشدد في ذلك كما بالنسبة للمساجد حفظا لمقصد مهم من مقاصد الشريعة الإسلامية وهو الدين، وعليه فليس من الغريب أن تُعدّ المساجد في الجزائر أو في غيرها من البلاد الإسلامية أهم الأبنية الدينية على الإطلاق والأكثر حضورا وعددا مقارنة بغيرها من الأبنية.

والجدير بالذكر أن النشاط المعماري الذي جرى في الجزائر على عهد العثمانيين أكبر بكثير مما سبق وأن كُتِبَ عنه أو ما تَخلف عن ذلك العهد، ذلك أن الدراسات التي أُنجزت في هذا المجال من قبل الفرنسيين على وجه الخصوص أهملت تلك الفترة، ومن جهة أخرى فقد قام المحتل بحملة هدم واسعة جدا طالت معظم ما بني خلال هذا العهد.

ومع ذلك وبالرغم مما طال عمائر العهد العثماني بمدن الجزائر عموما من تخريب وهدم، فإن ما تخلف منها يُعد من الشواهد الأثرية الهامة التي منها نستقي الخصائص المعمارية والفنية لعمائر تلك الفترة وفي مقدمتها المباني الدينية والممثلة خصوصا في المساجد.

أولا – المساجد:

ذكر إحصاء 1851م الذي قامت به سلطات الاحتلال أنه كان بالجزائر حينذاك 1569 مسجدا منها 75 في المناطق المدنية (الحضرية)، أما المساجد الواقعة في الريف فبلغت 1494 مسجدا. إلا أنه لم يتبق من هذه المساجد إلا العدد القليل بسبب الهدم الذي تعرضت له خلال فترة الإحتلال.

وقد تميزت مساجد الجزائر خلال الفترة العثمانية عموما بما يلي:

- أبعادها المتواضعة مقارنة بمساجد العثمانيين بتركيا.
- المظهر الخارجي البسيط وثراءها الفني بالداخل.
- الإهتمام بجدار القبلة والمحراب إضافة إلى المدخل والمئذنة.
- ظهور طرازين من المساجد؛ المحلي والوافد مع ثالث هو مزيج بين الطرازين.
- تنوع مخططات بيوت الصلاة في المساجد الجزائرية.

ورغم هذا التنوع في الأشكال والعناصر المعمارية فإن العامل الديني ساهم بشكل رئيسي في توحيد مضمونها وجوهرها في مختلف بلاد المسلمين بما فيها الجزائر، وهو أمر يحسب للعمارة الاسلامية التي جمعت بين الوحدة والتنوع.

1- مساجد الطراز المحلي:

ينسب نمط هذه المساجد التي بنيت خلال الفترة العثمانية بالجزائر إلى الطراز المغربي الأندلسي الذي يتميز بالسمات التالية :

أ- خضوع التخطيط المعماري لبيت الصلاة فيه للنظام المعروف بنظام التخطيط القائم على الأعمدة (Hypostyle) أو الدعامات والذي لا تشكل فيه القبة العنصر الأساسي.

ب- وجود صحن تتوسطه فسقية تحيط به الاروقة من ثلاث جهات غالبا.

ت- قيام مئذنة واحدة ذات مسقط مربع في أحد جوانب المسجد.

ث- وجود محراب يتوسط جدار القبلة يكتنفه عمودان وينفتح بعقد منكسر متجاوز.

ج- إستخدام المنبر الخشبي المتحرك والذي خصصت له غرفة ضيقة تقع يمين المحراب.

ح- شيوع العقود المنكسرة المتجاوزة والمفصصة و بشكل اقل العقود نصف الدائرية.

خ- إستخدام الأعمدة الملساء ذات التيجان من الطراز المغربي الاندلسي.

د- إعتماد السقوف الهرمية والمسطحة إضافة إلى الاقبية والقباب - منها المضلعة- ولو بشكل أقل.

وإن كان من المعلوم أن المساجد ذات الطراز المحلي خلال الفترة العثمانية قد تشابهت من حيث تخطيطها العام فإنها بالمقابل اختلفت من حيث توجه البلاطات وبالتالي فإننا أمام نمطين اثنين:

- **نمط البلاطات الموازية لجدار** مصر الإسلامي.
- **نمط البلاطات العمودية على جدار القبلة وهو الذي ظهر في المسجد الأقصى.**

واستمر العمل بهذا التخطيط في الجزائر خلال الفترة العثمانية رغم ظهور طراز جديد هو الطراز العثماني الذي تشكل فيه القبة المركزية عنصرا محوريا. ومن ضمن المساجد التي ظلت

وفية للتصميم القديم نشير إلى **مسجد القصبة البرّاني** بمدينة الجزائر و**جامع سيدي لخضر** بقسنطينة و**مسجد الإمام سيدي الهواري** بوهران وأيضا **الجامع الكبير** بمعسكر.

1.1- مسجد القصبة البراني بمدينة الجزائر :

1.1.1- الموقع: يقع جامع القصبة الخارجي والمسمى بالبَرَّاني في مقابل قلعة الداي بقصبة مدينة الجزائر، يحده من الجهة الشرقية شارع النصر أما من الناحية الغربية والجنوبية فتحده ثكنة عسكرية ويفصل بينهما شارع محمد طالب.

2.1.1- تأسيس المسجد: من المرجح أن يعود تأسيس الجامع إلى عام 1064ه/1653-1654م من خلال وثائق تشير إلى وجود مسجد صغير يقابل باب القصبة الجديدة، إلا أن حسين باشا آخر دايات الجزائر أعاد بناءه أو توسيعه، وذلك بسبب انتقال مقر الحكم إلى المقر الجديد بقلعة الداي عام 1234ه/1818م، وهذا ما تشير إليه كتابتان أثريتان ثبتت أعلى مدخلي المسجد.

3.1.1- تاريخ المسجد: بُعيد احتلال مدينة الجزائر سنة 1830م استغل المسجد من طرف جيش المحتلين، وفي سنة 1839م تسلمته وزارة داخلية الاحتلال وحول إلى كنيسة دعيت باسم القديسة كروا (Sainte-Croix)

4.1.1- الوصف المعماري للمسجد: هو عبارة عن مسجد من الحجم الصغير ذو شكل مستطيل، يتم الدخول إليه عبر مدخلين رئيسيين، أما بيت الصلاة فيه فذات عرض 14.50م وعمق 12.5م، يتشكل من أربع بلاطات وخمسة أساكيب.

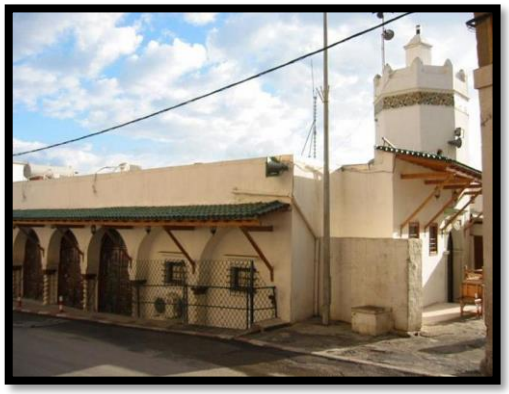

يضم المسجد محرابا من النوع البسيط ذو تجويف نصف دائري يتوسط جدار القبلة، إرتفاعه 2.40م وعرضه 2.30م، واجهته مزدانة بالمربعات الخزفية الأصيلة، يكتنفه عمودان أملسين بارتفاع 1.45م وبقطر 20سم ذات تاجين بسيطين، متوج بعقد منكسر متجاوز.

تقوم عقود بيت الصلاة على أعمدة من ثلاثة أنماط، أما النمط الأول فذو ساق مركب جزءه السفلي مثمن الأضلاع بينما جزءه العلوي فمظفر، تيجانه تتشكل من لفائف تحتل الأركان الأربعة. أما النمط الثاني فذو بدن أملس وتاج شبيه بتيجان النمط الأول، وأما النمط الثالث فبدنه مثمن الأضلاع ينتهي بتاج بسيط ذو نتوءات.

للمسجد نوافذ صغيرة ذات شكل مستطيل بارتفاع 1.67م وبعرض 1.05م، كل نافذة متوجة بعقدين بصليين يفصل بينهما عمود حلزوني من الرخام يعلوه تاج بسيط مربع.

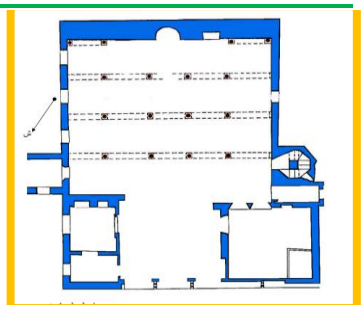

أما **مئذنته** فتحتل منتصف الجدار الجنوبي الغربي ذات مسقط ثماني الأضلاع، ترتفع بنحو 8.50 م، تتكون من البرج الرئيسي والجوسق الذي لا يتعدى ارتفاعه المتر الواحد.

ينتهي البرج الرئيسي بشرافات هرمية الرأس تحتل أربعة منها زوايا الأضلاع وأربعة أخرى منتصفاتها.

ة يلتف حولها سلم صاعد
من 28 درجة، تضاء هذه الدرجات ببعض المزاغل المزدانة من الأعلى ببلاطات خزفية خضراء وبيضاء اللون ذات زخارف نباتية.

2.1- الجامع الأخضر بقسنطينة:

1.2.1- موقع الجامع: يقع بوسط المدينة بالقرب من رحبة الصوف أسفل القصبة، يشرف من ناحية الغرب على شارع سيدي لخضر، ومن ناحية الجنوب على نهج كامب.

2.2.1- التسمية: سُمِي بجامع سيدي لخضر نسبة إلى الولي الصالح سيدي لخضر قيّم الجامع والمدفون خلفه، كما ذُكر هذا الأخير في مختلف النصوص والوثائق الرسمية على غرار سجلات المحكمة الشرعية وسجل الوفيات باسم الجامع الاخضر للونه الأخضر الغالب عليه تيمنا ببعض المساجد العثمانية.

3.2.1-التأسيس: يعود بناء الجامع الأخضر عام 1156ه/1743م من طرف باي قسنطينة حسن المدعو بوحنك الذي تولى حكم البايليك ما بين سنتي 1148 و1168ه/1736 و1754م. ومن جهة أخرى يضم الجامع كتابتين تأسيسيتين كتبتا بالخط المغربي بأسلوب الحفر البارز، وهما مثبتتان بالواجهة الخارجية للجدار المقابل للمحراب، أما الأولى فهي من الجص موجودة أعلى النافذة التي تتوسط مدخلي بيت الصلاة، ذكر فيها إسم المؤسس وتاريخ التأسيس الذي هو

1156ه. وأما الكتابة الثانية فهي تعلو المدخل الأول لبيت الصلاة نقشت على لوحة من الرخام، وهي عبارة عن أبيات من الشعر تشير إلى المؤسس وتاريخ التأسيس.

4.2.1- الوصف المعماري للجامع: يقع المسجد تقريبا وسط مجموعة من المباني التي تحيطه من جميع الجهات فيما عدا جانبا منه في الجهة الجنوبية وجانبا ثان في الجهة الشمالية. والجمع يتكون من طابقين، تقع أسفل أحدهما حوانيت تصطف على جانبي ساباط، والذي يوجد إلى الغرب من فتحته المدخل الرئيسي للجامع.

تظهر في إحدى واجهات الجامع خمس نوافذ كبيرة ذات شكل مستطيل مسدودة بشبابيك معدنية، وتبرز في مؤخرة بيت الصلاة مئذنة ذات قاعدة مربعة وبدن وجوسق مثمنين، وفي الواجهة الأخرى فتحت نافذة واحدة فقط.

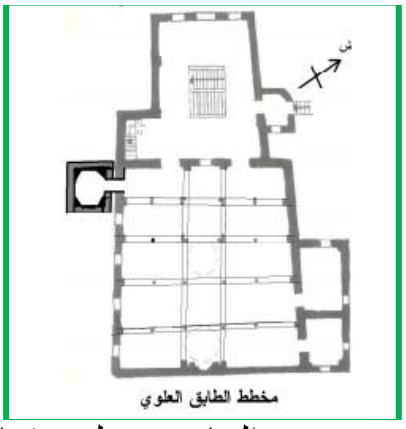
مخطط الطابق العلوي

ويضم الجامع مدخلين يقعان في الطابق السفلي حيث الحوانيت، أما الأول فيقع في الضلع الجنوبي إرتفاعه 1.90م وعرضه 1.36م تتقدمه سقيفة، وإلى القرب منه فتح مدخل رئيسي ثان بأبعاد 1.86 في 1.40م له باب خشبي من مصرعين، وهو يفضي إلى الفناء الفاصل بين الجامع والقبة الضريحية التي تقع خلفه باتجاه الغرب.

أما بيت الصلاة فيقع في الأعلى فوق الحوانيت والساباط ذو شكل مستطيل عمقه 15.20م وعرضه 12.60م يتم الولوج إليه عبر مدخلين فتح في ضلعه الشمالي الغربي تتوسطهما نافذة. ويتكون بيت الصلاة من خمس بلاطات موازية لجدار القبلة تقطعها بلاطة وسطى محورية وأربعة أساكيب عمودية، ذات عقود نصف دائرية وأحيانا متجاوزة قليلا، فيما عدا العقود التي تقوم عليها القبة التي تتقدم المحراب والقبة التي تتوسط بيت الصلاة حيث تنتهي حوافها بفصوص، تقوم هذه العقود على أعمدة رشيقة اسطوانية البدن قصيرة بارتفاع 1.40م تعلوها تيجان بسيطة في معظمها ذات طراز حفصي. كما استعملت دعامات مدمجة في الحائطين الشمالي والغربي.

وقد استخدم في تغطية بيت الصلاة سقف مسطح من الداخل وهرمي من الخارج، بينما غطيت التي تتقدم بيت الصلاة وتلك التي تتوسط البلاطة الوسطى بقبتين تقومان على حنايا ركنية.

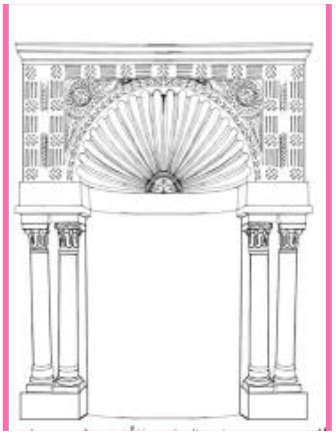

ب دائرية بعرض 1.36م وبعمق 0.75م، تعلوه نصف قبيبة تأخذ شكل محارة، وهو مكسو ببلاطات خزفية مربعة، يكتنفه عمودان مزدوجان أملسان لها تيجان مزخرفة، وتنتهي هذه الأعمدة بعقد مفصص.